

# الفصل التمهيدي

I- الإطار الجغرافي

II- الإطار التاريخي

III- الإطار الاجتماعي

IV- واقع الأدب الشعبي في الوادي الأبيض

نظم الشعراء قصائد رائعة ، تتغنى بجبال الأوراس الشامخة وطبيعته الخلابة وتاريخه المقترن بالثورة التحريرية الكبرى ، التي يفتخر بها كل جزائري، والتي خلدت اسم الأوراس بماء من ذهب.

يتمتع الأوراس عموما ، والوادي الأبيض خصوصا ، بموقع استراتيجي هام وتراث ثقافي متميز ، والذي ظل سكانه محافظين على أمازيغيتهم ، رغم اختلاف الحضارات المتعاقبة على الجزائر، وهذا يسفر عن تشبثهم بأصولهم الأولى وتقديسهم لتراثهم وأصالتهم ونمط معيشتهم إلى يومنا هذا ، والذي من الصعب جدا العدول عنها.

ولما شق علينا الإحاطة بتراث الأوراس كافة ، لشاعته وغنى تراثه وتنوعه، اخترنا منه حيزا جغرافيا محدودا ، وهو الوادي الأبيض ، فخصصنا فصلا تمهيدا للتعريف بمنطقة الدراسة - الوادي الأبيض - بالتطرق إلى ثلاثة أطر مهمة: الإطار الجغرافي- الإطار التاريخي- الإطار الاجتماعي.

تحدثنا في الإطار الجغرافي عن موقع الأوراس أولا ، ومنه موقع الوادي الأبيض جغرافيا ، كما أشرنا إلى طبيعة مناخه وتضاريسه التي تميزه ، وانتقلنا بعدها إلى الإطار التاريخي ومن أهم النقاط التي أشرناها في هذا العنصر أصل التسمية وأصل السكان والأوراس عبر التاريخ.

أما الإطار الاجتماعي فخصصناه للحديث عن طبيعة البنية الاجتماعية ، التي تعتمد النظام القبلي إلى يومنا هذا . ومنه الأعراس التي تقطن بالمنطقة وأصولها الأولى ، ونظرا لتميز المنطقة بلسان خاص ( اللهجة الشاوية) ، وهي فرع من

فروع اللغة الأمازيغية، كان لزاما علينا أن نقدم طبيعة البيئة اللغوية التي يحيا فيها سكان الوادي الأبيض.

إضافة إلى هذه الأطر الثلاثة، توقفنا عند واقع الأدب الشعبي بالوادي الأبيض معددين مختلف الأشكال الأدبية الشعبية التي تتداول بالمنطقة خاصة الأغنية الشعبية باعتبارها موضوع الدراسة. وقد كان هذا التناول لغاية علمية وهي إعطاء نظرة عامة عن واقع الأدب الشعبي بالمنطقة، وأهم الأشكال التي مازالت متداولة، قصد لفت انتباه الباحثين إلى ثراء المنطقة بالتراث الشعبي الشفوي.

## I- الإطار الجغرافي:

### 1 - الموقع الجغرافي:

من الوثائق التاريخية القديمة التي ذكرت الأوراس وحددت موقعه كتاب المؤرخ البيزنطي بروكوب procope ، حيث يقول : " هذا الجبل يقع على مسافة ثلاثة عشر يوما من قرطاج ، ومحيطه ثلاثة أيام كاملة من السير، لا نستطيع أن نتسلقه إلا عبر ممرات وعرة وانعزالات موحشة . لكن وصولا إلى القمة ، نجد هضبة شاسعة تسقى من ينابيع متدفقة ، مولدة وديانا ، مغطاة بكم عجيب من البساتين ، والحبوب والفواكه حجمها ضعف ما هو موجود في باقي إفريقيا.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أنظر : Jean Morizot \_ L'Aurès ou le mythe de la montagne rebelle ,p51 نقلا عن : Histoire des guerres vandales , livre deuxieme , p20

عرفت المنطقة باسم الأوراس منذ القديم ، حيث ورد ذكر الأوراس عند الرحالة والمؤرخين العرب كالبكري والإدريسي وأطلق البكري\* اسم الأوراس على المنطقة الممتدة من طبنة إلى باغاي أو أكثر، وهي مسافة سبعة أيام من السير. بينما مددها الإدريسي\*\* إلى إثني عشر يوما من السير.

وقد أرجع عبد الحميد زوزو هذا الاختلاف لدى المؤرخين العرب إلى أنه كان عليهم الأخذ بعين الاعتبار التأثير اللغوي والأنتوغرافي، حيث تجاوز انتشار سكان الأوراس مساحة 8000 كلم<sup>2</sup>، وهي مساحة السلسلة الجبلية للأوراس إلى مساحة 30000 كلم<sup>2</sup>، أي على مسافة 200 كلم من الشرق إلى الغرب محصورة بين سوق أهراس ، العلمة، بريكة ، بسكرة، نقرين وتبسة<sup>1</sup>

هذه الآراء حاولت تحديد حدود الأوراس بالاستناد إلى العامل اللغوي والانتوغرافي ، بينما ثمة من يحدده تحديدا جغرافيا بوصفه على شكل مضلع رباعي بمعنى أن الموقع الجغرافي لمنطقة الأوراس يتحدد بالسلسلة الجغرافية المحصورة بين المربع الممتد من باتنة<sup>2</sup>. خنشلة وخنشلة خنقة سيدي ناجي ، وخنقة سيدي ناجي بسكرة ، وبسكرة باتنة<sup>2</sup>.

وقد قسم الفرنسيون - في عهد الاحتلال- الأوراس جغرافيا إلى قسمين: الأوراس الشرقي ، الذي يضم السلاسل الجبلية شرق شليا ، بينما يشمل الأوراس

\* مؤرخ وجغرافي عربي من القرن 11م/

\*\* مؤرخ عربي من القرن 12 ميلادي

<sup>1</sup> أنظر: Abdelhamid ZOUZOU - L'Aurés au temps de la France coloniale. Evolution politique, économique et sociale (1837-1939) Tome 1, Edition HOUMA, ALGER, 2001;p.18-19

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص15

الغربي السلاسل الجبلية غرب شليا ونقصد بها السلاسل الجبلية الممتدة بين وادي لرباع ، ووادي بوزينة وهما كتلتا مالو وجبل بوص ، وبين وادي بوزينة ووادي عبدي (كتلة المحمل)، إضافة إلى السلسلة الفاصلة بين وادي عبدي والوادي الأبيض ووادي شناورة (كتلة زلاطو) المستمرة إلى غاية مضيق تيغانيمين، بينما تتحدد كتلة جبل أحمر خدو بين الوادي الأبيض وروافد وادي العرب.<sup>1</sup>

أما إذا تحدثنا عن الوادي الأبيض ، فنقول: إنه يأخذ شكله بين جبل شليا من الشرق وجبل إشمول من الغرب ، حيث يطلق عليه اسم كل منطقة يمر بها: واد تاجرنييت- واد إينوغييسن- واد تاجرا ، وتعود إليه تسمية الوادي الأبيض بدءا من إقليم عرش آيداوڤ .

في إقليم عرش آيداوڤ يقطع الوادي الأبيض سهل لمدينة ، وهو سهل خصب وكثير المراعي، أين يبدأ في الالتفاف حول جبل إشمول بنصف دورة إلى أن يقطع سهل آريس الذي يتشكل بدءا من سفوح إشمول (الجهة الجنوبية)، حتى حلق تيغانيمين على مسافة حوالي 30 كلم ، بالتوازي مع الطريق الوطني رقم 31 يسارا .

يحد الوادي الأبيض في ناحية آريس شمالا سلسلة جبلية تسمى (زاواي)، ذات قمة مستقيمة، أما على يمين الوادي ، فثمة مجموعة من المداشر منها -دشرة الحمّام أولاد موسى، الحجاج ، تفرضاسين ، آريس ، هذه الأخيرة التي بدورها تتكون من مجموعة من المداشر (سانف ، إنركب ، الدشرة البيضاء ، مزاتة)

<sup>1</sup> أنظر: محمود عبد السلام . جغرافية دائرة آريس . تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837- 1954 إنتاج جمعية أول نوفمبر في الأوراس، دار الشهاب، باتنة، ص 18

يخترق الوادي الأبيض حلق تيغانيمين بمسافة 3 كلم ، أين يمر على المداشر التالية: تاغيت ببساتينها الجميلة ، تفلال- مسعودة- لعريش- غسيرة- أولاد عابد- تابعليت- ومن هذه الأخيرة يدخل الوادي الأبيض بين جدارين صخريين عميقين ، تزين قممه مجموعة من القلاع الأوراسية والمداشر (تابعليت خليفة- غوفي- دشرة أولاد ميمون- دشرة أولاد منصور- أولاد يحي- واحة بانيان).

ومن واحة بانيان يقطع الوادي الأبيض جبالا صخرية جرداء ، حيث لا نجد أثرا للواحات والبساتين ، ليصب في واحة مشونش من خلال حلق ضيق ، أين تنتهي تسمية الوادي الأبيض ، ومرورا بواحة لحبال ينتهي المطاف بالوادي الأبيض في سد قم الخرزة ، المخصص لري المناطق التالية : واحة قرطة- تهودة- سيدي عقبة.

ومن سيدي عقبة يأخذ مجرى الوادي اسم واد أبراز أين يتجه في وقت الأمطار إلى سهل المنصورية ، ليختفي في تشعبات وديانية صغيرة في شط ملغيغ.

تصب عدة وديان في الوادي الأبيض كواد جار الله ، واد شعبة الهارة ، الذي ينحدر من ارتفاع يبلغ 1900 م، وعلى مسافة 35 كلم أين يسقي مداشر الهارة بوسته ، حمبله ، لعريش، شناورة ، تكوت<sup>1</sup>

ونظرا لخصوبة الوادي الأبيض، استقر الناس منذ القديم على طول ضفافه في تجمعات سكانية ، على شكل مشات ومداشر والتي بدأت في التطور والنمو إلى أن ظهرت في العهد الاستعماري ، كمراكز إدارية تجمع هذه المداشر و تحولت شيئا

<sup>1</sup> أنظر : Abdelhamid Zouzou- L'Aurés au temps de la France coloniale p: 51-52

فشيئا إلى بلديات: إشمول ، آريس ، تيغانيمين ، غسيرة ، مشونش - موضوع  
الدراسة-

تقع بلدية إشمول في الجانب الأعلى من الوادي الأبيض ، أين يوجد مقر  
البلدية (المدينة سابقا) على ارتفاع 1451م ، منحصر بين جبلي شليا شرقا ، وإشمول  
غربا.

تتربع إشمول على مساحة قدرها 12367 هكتار، يحدها كل من بلدية فم  
الطوب شمالا ، وبلديتي إينوغييسن وتيغانيمين جنوبا ، وبلدية يابوس (ولاية خنشلة)  
شرقا ، وآريس غربا<sup>1</sup>. تضم بلدية إشمول المداشر الآتية: الحمام- أولاد موسى-  
الحجاج.

أما بلدية آريس فهي تتربع على موقع جغرافي متميز ، يحدها شرقا بلدية  
إشمول وغربا ثنية العابد ، أما شمالا واد الطاقة وجنوبا تيغانيمين ، وتضم بلدية آريس  
عدة مداشر وهي: دشرة آريس ، إنركب ، الدشرة البيضاء ، مزاتة)  
وثالث هذه البلديات بلدية تيغانيمين التي تقع أعلى حوض الوادي الأبيض،  
تتكون من تجمعين ثانويين: تاغروت أعمر وتابندوت ، إلى جانب مجموعة من  
المداشر أهمها : الدشرة الحمراء ، تاغروت أعمر، لمسارة ، بوصالح (بليهود)، شير ،  
تابندوت ، ، تيغانيمين.

<sup>1</sup> أنظر: Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme d'ICHEMOUL -  
Rapport d'orientation - bilan de l'état de fait perspectives de développement  
Nouembre 1996 p :15

يحدّها شمالا بلديتا آريس وإشمول ، وجنوبا بلديتا تكوت وغسيرة ، أما شرقا فبلدية إينوغيسن ، وغربا بلديتا شير ومنعة<sup>1</sup>.

تتربع تيغانيمين على مساحة قدرها 12724 كلم<sup>2</sup> يقطنها 3668 نسمة (إحصائيات 1998م) ومن المداشر التي تنتشر على طول بلدية تيغانيمين: الدشرة الحمراء ، تاغروت أعمر ، بوصالح (بليهود) ، شير ، تابندوت، تيغانيمين

وتليها بلدية غسيرة التي تقع أسفل حوض الوادي الأبيض، يحدّها شمالا بلديتا تكوت وتيغانيمين ، وجنوبا ولاية بسكرة ، أما شرقا تكوت ومنعة غربا.

تضم بلدية غسيرة مجموعة من التجمعات السكانية بدءا من تقلال إلى غاية أولاد يحي وأخيرا بلدية مشونش التي تقع على بعد 28 كلم من التجمع الرئيسي لولاية بسكرة في الجهة الشمالية الشرقية ، فهي منطقة عبور بين عدة جهات جغرافية. هذه الأخيرة تشكل العنصر الرابط بين سكان الصحراء في الجنوب وسكان جبال الأوراس شمالا ، وهي تقع في نهاية الوادي الأبيض يحدّها شمالا بلدية منعة ، وجنوبا بلديتا سيدي عقبة وزريبة الوادي ، أما شرقا فبلدية تكوت ، وغربا بلديتا شتمة وجمّورة.

ينتهي بنا المطاف عند بلدية مشونش التي تعد آخر بلدية يمر بها الوادي الأبيض ، ليأخذ بدءا من سيدي عقبة اسم واد البراز ، و لا تشمل مشونش إلا تجمعاً ثانويا واحدا ألا وهو بانيان ، كما أنه ووفقا للتقسيمات الإدارية (جويلية 1974م)، أصبح تابعا لولاية بسكرة بعد أن كان تابعا لولاية باتنة (دائرة آريس)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> وثيقة إدارية، تحصلنا عليها من بلدية تيغانيمين

<sup>2</sup> أنظر: مخطط شغل الأراضي رقم (02.03) ، مكتب الدراسات الإنجازات في التعمير بباتنة، خاص بدائرة مشونش ، ولاية بسكرة.



وهكذا نكون قد حددنا - منطقة البحث- تحديدا جغرافيا دقيقا قدر المستطاع..

## 2- المناخ:

يختلف مناخ الوادي الأبيض باختلاف المناطق التي يتكون منها ، ففيه الجبال المرتفعة ، والأودية الضيقة والهضاب المرتفعة ، لذلك نجد نوعين من المناخ: مناخا جبليا قاسيا ، جافا وحارا صيفا ، باردا شتاء مثلما تتميز به بلديات إشمول وأريس وتيغانيمين . هذه الأخيرة التي تتمتع بغطاء نباتي ، تحتل فيه الغابات نسبة معتبرة منه ، مما ميز المنطقة بطابع فلاحي غابي.

ونوع ثان من المناخ وهو متوسطي شبه جاف ، يتميز بالجفاف صيفا والبرودة شتاء ، مثلما هو الحال في بلديتي مشونش وغسيرة . هذه العوامل الطبيعية التي تؤثر بشكل واضح على نمط العمران واقتصاد المنطقة .

المهم من كل هذا أن سكان الوادي الأبيض ، يعانون معاناة عكسية ، فمنهم من يشكو ارتفاع البرد القارس(الزمهيرير) والذي يشتد بهبوب الزوابع الثلجية التي تعرقل نشاطاتهم وتحركاتهم ، بدءا من شهر نوفمبر إلى شهر ماي ، لكن هذه الثلوج تملأ الوديان التي يعتمد عليها السكان ، لسقي أراضيهم وكذا لاستعمالها في حياتهم اليومية. ومنهم من يشكو ارتفاع درجة الحرارة خاصة في شهر جويلية وأوت ، كواحات مشونش وبانيان ولا تنخفض إلا منتصف الليل ، أضف إلى ذلك هبوب رياح الشهيلى الجنوبية التي تمتد أحيانا إلى الشمال ، فتقضي على الفلاحة.

### 3- التضاريس:

تتميز تضاريس المنطقة بالطابع الجبلي، فهذه الأخيرة معروفة بشدة الانحدار، فهي ذات طابع جيولوجي كلسي وكاربوني. ففي الجانب الأعلى من منطقة الدراسة، وهي منطقة إيشمول تعرف التضاريس بتسمية "انحدار شليا-إشمول"، هذا الانحدار مقسوم إلى انكسارين يحيطان بسهل لمدينة "؛ القسم الأول جنوبي غربي، يشكل جبل إشمول الذي يبدأ في الارتفاع تدريجياً من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. أما القسم الثاني فهو من الشرق ناحية شليا وهي عبارة عن جبال ذات صخور كلسية. أما عن يمين -منطقة الدراسة- فنجد السلسلة الجبلية الفاصلة بين الوادي الأبيض و وادي عبيدي. تبدأ هذه السلسلة من ثنية قبل الرصاص (1750م) عن طريق جبل بوتلغمين وتسمى هذه السلسلة على التوالي.

- رأس تَقَشْرِيرْت 1898م، ورأس العُود ورأس بُوَسْرَفِين، راس آزاهو، سَبْعُ أَرْعَاشْ، هَاغْرَارْتْ، جبل مَشْيِيْسْتْ، وجبل مَاتِيْلْ 1877م، ثم يعقبه جبل كبير وهو جبل عَبْدُوسْ (1713م)، إِنْزَارْتْنْ، إِيْشْ أَفْقُوسْ، إِيْشْ عَدْرِي 1786م، وجبل بُرْجْ 1871م، راس نُبْرَجْتْ ومن هنا تنقسم السلسلة إلى قسمين:

الأولى؛ تحاذي وادي عبيدي والثانية مكملة للرئيسية، وتسمى على التوالي: إيش عبد الله 1743م، جبل موجي والجبل الأزرق (1933م)، جبل إيش مراد (1344م) ورأس شيشه 1261م. أما على يسار الوادي الأبيض، فنجد كتلة زلاطو وكتلة أحمر خدو.

تبدأ من زلاطو قمة مستقيمة طويلة برأس تقشيرت وتنتهي في الصحراء بالشمال الشرقي مقابل بسكرة ، وتسمى السلسلة على التوالي: جبل زلاطو، راس اللوحة بين الوادي الأبيض ووادي الهارة يسارا ، وبعد مضيق تيغانيمين جبل كُرُومَة وجبل فُوشي<sup>1</sup>.

أما عن أهم الأودية التي تعرف بها المنطقة : وادي عبيد والوادي الأبيض ، حيث ينحدر هذا الأخير توازيا مع وادي عبيد. يتكون وادي عبيد من منبعين عين أجزيرة وعين قرزه ، هذه الأخيرة التي تتبع من بين جبلين مرتفعين. فشرقا نجد جبل بوتلغمين ، وغربا كاف المحمل ، وينطلق وادي عبيد من (عين قَرَزَه) إلى أن يصل إلى منعة على مسافة (40كلم) ، ليصب فيه (الوادي الأحمر) الذي ينطلق هو الآخر من أسفل (المحمل) ويلتقي بوادي عبيد أسفل قرية منعة ، ليكونا وادا واحدا يتجه إلى بسكرة ثم إلى السعدة .

أما الوادي الأبيض وهو ما يهمننا فله عدة روافد تصب فيه، إلا أنها صغيرة، لذا سنشير إلى أهمها: وادي (باشا) بيتدئ من جبل إشمول ويصب فيه واد (أفرا)، ووادي (السكي)، اللذان يبتدئان من جبل القطار<sup>2</sup>.

## II- الإطار التاريخي:

بعد الإلمام بموقع الوادي الأبيض ؛حدوده وتضاريسه ، سنقدم في هذا العنصر جانبا آخر لا يقل أهمية عن الإطار الجغرافي، وهو الإطار التاريخي الذي سنتحدث من خلاله عن أصل التسمية ، والأوراس عبر التاريخ بمختلف الفترات

<sup>1</sup> أنظر:محمودعبد السلام . جغرافية دائرة آريس . تاريخ الأوراس..... ص 20

<sup>2</sup> أنظر : المرجع نفسه ، ص27

التاريخية التي مرّ بها ، ولزما علينا أن نوضح نقطة مهمة ، وهي أننا قد تحدثنا عن تاريخ الأوراس عموماً ، مع بعض التخصيص (الوادي الأبيض) أحياناً كلما سنحت لنا الفرصة ، نظراً لنقص الوثائق التاريخية التي تفيدنا في هذا المجال ، خاصة تاريخ الأوراس القديم.

يشوب تاريخ الأوراس القديم الكثير من الغموض، وعدم وضوح الرؤية بالنسبة للدارسين، لذلك لم يحظ بالدراسة الملمة التي تعطي صورة واضحة ودقيقة في هذا المجال، ويرجع سبب ذلك لقلة المراجع القديمة، إن لم نقل انعدامها، فأقدم المراجع المكتوبة التي تناولت الأوراس ما كتبه المؤرخون البيزنطيون منهم بروكوب Procope وكوريب Corripe، لذلك حاولنا . قدر المستطاع . أن نقدم صورة متكاملة عن مختلف العصور التاريخية التي ميزت الأوراس ، بما توفر لدينا من مراجع .

1 - أصل التسمية: يذكر المؤرخ الإغريقي Ptolémée (القرن الثاني للميلاد) الأوراس باسم (أودوس) <sup>1</sup>Audus ، بينما ذكرها Procope (المؤرخ البيزنطي) باسم أوراسيوس Aurrasius وهذا أثناء مقاومة المنطقة للجيش البيزنطي، وتذكرها المصادر العربية في القرون الوسطى باسم "أوراس"، وإضافة "أل" أداة التعريف العربية حديثة <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أنظر: ZOUZOU- L'Aurés au temps de la france coloniale...p15 Tome 1

Abdelhamid نقل عن: Procopé de Cesaree : de la guerre contre les vandales –traduit par: LEON de Manger 1670

\* الحروب البيزنطية (543م . 565م )

<sup>2</sup> أنظر: بوساحة أحمد . أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر- ج1 ، دارهومة للطباعة والنشر، 2001م،

كما اجتهد كوستاف مرسي "Gustave Marciée"، ولويس رين Louis

Rinn لتحديد معنى هذه التسمية ، فقدمت فرضيتين:

الأولى من قبل لوتورنو Letourneux وأيدها إميل ماسكوراي Masqueray

والتي تعني بلاد الأرز، لكثرة أشجاره بالمنطقة.

أما الفرضية الثانية والتي قدمها جورج مرسي George Marcy، فقد قرن

التسمية باللون ، حيث أرجع أصلها إلى كلمة أمازيغية (إهْرَس) والتي تعني لدى سكان

المغرب الأوسط "اللون الرمادي الحديدي" Gris-Fer وهي التسمية الأقرب إلى الصحة

حيث نجد كلمة (آراس) متداولة لدى سكان المنطقة كقولهم: "بيسْ آراس" بمعنى

"حصان لونه أحمر قاتم" وهو نفس لون جبال المنطقة.<sup>1</sup>

ولقد أخطأ هيغ (Hyghe) حين قال : إن كلمة "آراس" فقدت في لهجات

الأوراس، وهذا في قاموسه عن اللهجة الشاوية. أما روني باسي (René Basset)

فذكر أن المقصود من كلمة "آراس" هو اللون الأسمر في لهجات القبائل.<sup>2</sup>

ويستنتج أحمد بوساحة " أن كلمة آراس التي تطورت إلى أوراس كتسمية

جغرافية ، بل وأطلقت كاسم على مدينة ، تعني اللون الذي يتفاوت بين الأحمر

والأسمر، ويطلق كصفة على الوسط الطبيعي كالترية والأحجار، وعلى الإنسان

والحيوان أيضا ".<sup>3</sup>

ويظهر جليا مما سبق أن "للأوراس" عدة تفسيرات متعلقة بأصل التسمية، فمنهم من

ركز على لفظ الكلمة ومنهم من ركز على معناها عند أهل المنطقة،

<sup>1</sup> أنظر: Abdelhamid ZOUZOU- L'Aurés au temps de la France coloniale... , p16

<sup>2</sup> أنظر: أحمد بوساحة -أصول أقدم اللغات... ص 14

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 15

والأرجح أن تكون بمعنى اللون الذي يتفاوت بين الأحمر والأسمر، وهو لون جبال الأوراس.

أما عن تسمية "الوادي الأبيض" أو "إغزر أملال" بهذا الاسم، فيرجع إلى رواية شفوية ، تردد على ألسنة سكانه ، فحواها أنه أثناء عودة الناس من مصيفهم (أعالي الجبال ) إلى بساتينهم على ضفاف الوادي ، وجدوها احترقت ، معتقدين أن الغولة هي من فعلت ذلك ، فقالوا : " إغزر ذُ . أملال " . بمعنى الوادي أبيض . ويستعمل السكان كلمة " أملال " للدلالة على الأرض الجرداء ، فيقولون مثلا : "همورث تملالت " أي أرض قاحلة وجرداء . لكن الأرجح أن الوادي أخذ تسميته من لونه الأبيض الذي إكتسبه من تكلس المياه على الأحجار و الصخور .

**2- أصل السكان:** يسمى سكان المنطقة بالشاوية ، وتعود أصولهم إلى السكان الأوائل لشمال إفريقيا وهم:

أ- **الليبيون:** استقر الليبيون على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وهم أقوام ذوو شعر أشقر وأعين زرقاء، وهو ما نلاحظ اليوم لدى بعض القبائل مثل سكان نارة من قبيلة آيث سعادة ، ولدى سكان بوزينة وبعض فرق آيدّاوذ، والغواسير.

كان لهؤلاء الليبيين أسطول قوي وجيش منظم، استطاعوا أن يهددوا به الفراعنة

بالإغارة عليهم في العديد من المرات.<sup>1</sup>

ب- **الجيترول Gétules:** هاجر الجيترول من سواحل البحر الأحمر حوالي 1300ق.م، وفي نفس الفترة هاجرت معهم أقوام أخرى منهم الكنعانيون ، بعد مقتل

<sup>1</sup> أنظر: LTCL DELARTIGUE \_ Monographie de L'Aurés, 1904. p.71

ملكهم جالوت ، من قبل بنى إسرائيل، ليستقروا في شمال إفريقيا ، وبعد أن تمكنوا من هزم الليبيين توحد الكنعانيون مع الجيتول ، فنتج عنهما النوميديون.

بينما الليبيون تدعموا بهجرات آرية ، أفرزت ما سمي بالموريين ، ومع مرور الوقت إنصهر الموريون وسط النوميديين.

ج- البربر: ترجع أصول البربر- حسب المستشرقين - إلى قبائل هاجرت من آسيا، ويرجح أنها انحدرت من الوديان العليا للهملايا ، واستقرت بفارس وأفغانستان، ثم سوريا لعدة قرون ، وبعد اضطرابات عاشتها المنطقة طردوا منها ، وواصلوا زحفهم نحو المغرب.<sup>1</sup>

يؤكد ابن خلدون بأنها هجرات شرقية قديمة ، ويرجع أصولها إلى مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.<sup>2</sup> ويقسم البربر إلى قسمين: البرانس والبتر.

ينحدر البرانس عن بَرْتَس بن بر بن مازيغ، والبتر ينحدرون من مدغيس الأبتري بن بر<sup>3</sup> ومنها تنحدر القبائل الأمازيغية المعروفة ، فمن البرانس تنحدر أسْدَاجَة ، مَصْمُودَة ، أَوْرَبَة ، عَجِيَسَة ، كُتَامَة ، صَنْهَاجَة وأوريغَة ومن البتر تنحدر عداسة... إلخ

ومن هذه القبائل التي استوطنت الأوراس نجد زناتة ولواتة ، فنزاتة تنحدر من مدغيس الأبتري، ويرجع ابن خلدون أصولها إلى جانة<sup>4</sup> بن سولات بن أَوْرَسَاكْ،

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق ، ص72

<sup>2</sup> أنظر: Iben Khaldoun - Histoire des berbères et des dynasties musulmanes de l'afriques septentrionale- Traduction de: Willaim Mac -GUKIN DE SLANE, BERTI EDITION, Livre 1, ALGER, 2003, p.138

<sup>3</sup> أنظر: المرجع نفسه ص 126

<sup>4</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 834.

ومازالت إلى يومنا إحدى القبائل الأوراسية تحمل اسم جانة وهم آث أوجانة المنتشرة على السفوح الشمالية لجبل شليا.

وتبقى الدراسات في أصول السكان مفتوحة، فعلى الرغم من وجود الهجرات البشرية قديما ، إلا أن هذا لا يعني أن الأقوام التي هاجرت هي الأصل في ظهور السكان ، فالحفريات المكتشفة بشمال إفريقيا مثل: انسان مشتة العربي، تؤكد قدم الإنسان في شمال إفريقيا.

د- الشاوية: تطلق هذه التسمية على السكان الذين تجمعهم عوامل لغوية واثنوغرافية في المحيط الواقع بين سوق أهراس والعلمة وبريكة وبسكرة ونقرين وتبسة بمساحة تقدر بـ: 30.000 كلم<sup>2</sup>.<sup>1</sup>

والعرب هم من أطلقوا هذه التسمية على السكان ، وجاءت من لفظ شاه لاهتمام سكان المنطقة بتربية الأغنام، وشاوي بمعنى صاحب الغنم أو راعي الغنم، كما نجد في الشاوية لفظة "اهشاويت" والتي تعني قطيعا من الغنم أو الماعز، وقد يكون السكان هم من أطلقوا هذه التسمية على أنفسهم ، لأن الماشية مصدر رزقهم، ويبقى المجال مفتوحا للبحث في المعنى الأصلي والحقيقي لهذه التسمية.

### 3- الأوراس عبر العصور:

مرت الأوراس بفترات تاريخية متعاقبة ومختلفة وثرية ، أثرت المنطقة تاريخيا وفكريا و حضاريا، نظرا لتعاقب الحضارات عليها ومازالت آثار الأجناس التي سكنت يوما ما الأوراس حاضرة تشهد على عراقة المنطقة، وسنقدم في هذا العنصر أهم الفترات التاريخية التي مرت بها المنطقة.

<sup>1</sup> أنظر: p18 Abdelhamid ZOUZOU -L' Aurés au temps de la France....



### أ- الأوراس والفترة الفينيقية:

كان الأوراسي خلال الفترة القرطاجية متحررا ، لم يخضع للسلطة المباشرة لقرطاج ولم يقف هذا حائلا أمام الفينقيين للاستتجاد بهم في حروبهم ضد روما ، كما تأثر ملوك وأمراء نوميديا بالحضارة القرطاجية بمصاهرتهم لهم<sup>1</sup> ، وتأثرهم بعبادتهم للإله بعل.

### ب- الأوراس والدولة النوميديّة:

أسست الدولة النوميديّة على يد ماسينيسا وهو من قبيلة الماسيل- والماسيل من الأوراس<sup>2</sup> ، ويكون أحد ملوكهم هو من أسس ضريح إيمدغاسن خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

### ج- الأوراس والفترة الرومانية:

كان الأوراس خلال الفترة الرومانية مسرحا لثورات متتالية ، حيث كان ملجأ ليوغورطة في حروبه ضد الرومان ، ولم تخضع المنطقة للرومان إلا بعد موت تاكفاريناس<sup>3</sup> حوالي 37م، لتنتشر بعد ذلك الحاميات الرومانية على طول الوادي الأبيض ومن شواهدنا نصب حلوق تيغانيمين<sup>4</sup> بالوادي الأبيض ، المكتوبة على جدار صخري تشير لفتح طريق لعبور الجيش الروماني\*

<sup>1</sup> أنظر: Charle André Julien –Histoire de l’Afrique du nord des origines a 1830 – Edition grande Bibliotheque payot- 1994, P.111

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص116

<sup>3</sup> أنظر: Delartigue – Monographie De L’Aurés- p79

<sup>4</sup> أنظر: Jean MORIZOT- L’Aurés au le mythe de la montagne rebelle - edition l’harmattan,Paris, p.20

\* تعود هذه الكتابة إلى القرن الثاني بعد الميلاد ومحتواها يقول: "تحت حكم ت أليوس أدريوس أنتونينوس أغسطس-أبو الوطن- قنصل للمرة الرابعة ومارك أورال قنصل للمرة الثانية تحت إمارة بريستين هيسالينوس قائد الفرقة الخامسة الذي شيد هذا الطريق"

وحسب الدراسات التاريخية عرفت المنطقة نوعا من الاستقلال وحكما ذاتيا، وهذا بعد إكتشاف نصب آخر ، يخلد إمبراطور من البربر بمنطقة لعرارة، حوالي 4 كلم من آريس<sup>1</sup>، وأفادت الدراسات أن هذا الإمبراطور اسمه ماسياس Maties<sup>2</sup> عاش حوالي القرن الرابع أو الخامس الميلادي.

#### د- الأوراس والفترة الوندالية والبيزنطية:

كغيرها من الفترات السابقة لم تخدم نار الثورة في الأوراس ، من كر تارة و فر تارة أخرى، ومن أهم شخصيات هذه الحقبة نجد بِنْدَاسْ و وَاَرْثِيَّاس<sup>3</sup> ويكون هذا الأخير هو من حكم الجهة الغربية من الأوراس، خاض حروبا ضد البيزنطيين خلال النصف الثاني من القرن السادس ميلادي.

#### هـ- الأوراس والفتوحات الإسلامية:

أول من وصل الأوراس من الفاتحين عقبة بن نافع حوالي 680م ، أين كان قائد الفتوحات الإسلامية على إفريقيا ، والتي أوصلته إلى المحيط الأطلسي، وفي طريق عودته إلى القيروان اعترضه كسيلة ، ونشبت معركة بين الجيشين، قتل على إثرها عقبة بن نافع في منطقة تدعى "تهوده"، ولاحق كسيلة الجيش الإسلامي حتى مدينة القيروان، أين تمكن من الاستيلاء عليها ، وفي سنة 685م ، أعاد المسلمون الكرة، فهزموا كسيلة في معركة على بعد يوم من القيروان.

<sup>1</sup> أنظر: Jean MORIZOT -L'Aurés... p.40

<sup>2</sup> أكتشف هذه الكتابة سنة 1941م، سماه علماء الآثار "الإمبراطور المجهول" تصب نفسه إمبراطورا مدى الحياة وكان عمره 67 سنة عند كتابته للنصب.

<sup>3</sup> أنظر: Delartigue – Monographie de l'Aurés- p.76

وفي خضم هذه الأحداث ، ظهرت ديهيا\* ويطلق عليها اسم ملكة الأوراس ، والتي هزمت الجيش الإسلامي بالقرب من مسكيانة ، وبعد خمس سنوات أعاد المسلمون الكرة ، هزموا ملكة الأوراس بالقرب من "باغاي" شمال خنشلة ، وقتلت بالمكان المسمى بئر الكاهنة ، وبموتها دخل الأوراس في عهد جديد.<sup>1</sup>

### و- الأوراس والفترة العثمانية: (ق16-ق19)

ما ميز الفترة العثمانية يشبه كثيرا الفترات السابقة من تاريخ الأوراس ، فالأوراسيون معروفون بتحررهم وحبهم للإستقلال.

تحدث الكثير من المؤرخين والرحالة عن الأوراس في هذه الفترة وانتفوا جميعا على إستقلالية الأوراس عن السلطة المركزية للأتراك حيث لم تطأ أقدامهم الأوراس ، وغالبا ما تتشب نزاعات ومشادات بينهم.

يقول قوستاف مارسى G.Marcy: "يبدو الأوراس عبر العصور كعزلة ، حيث أنه لم يخل من الخلافات البربرية مع الأنظمة المركزية للغزاة المتعاقبين ..... خاصة الأتراك ، الذين لم يكن لهم على الإطلاق ، منفذ إلى داخل الجبال."<sup>2</sup>

وهو ما يؤكد الدكتور عبد الله العروي: "جبال المغرب بقيت عبر العصور منغلقة كليا على نفسها، مما جعل حياتهم في غالب مناحيها غامضة."<sup>3</sup>

أما الأتراك فجاءوا ليروثوا ما تركته الدولة الحفصية ، ونظرا لضعف الإمكانيات العسكرية للأتراك، اعتمدوا على بسط نفوذهم في الأوراس على بعض

\* وهناك من يذكرها باسم داميا أو ديهيا ، وأطلق عليها العرب اسم الكاهنة

<sup>1</sup> أنظر: J. MORIZOT- L'Aurès ou le mythe de la montagne rebelle \_ p.62

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 110 ، نقلا عن :

G . Marcy – Le probleme du droit coutumier berbère. La France mediterraneene et africaine.1939, p.10.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص 110 نقلا\_ عن : Abdallah Laroui ; op ; cit ; t ; 2 ; p31

القبائل البربرية والعربية المجاورة للمنطقة، والتي أعلنت ولاءها للأتراك ، وذلك لجمع المغارم وهذا خلال القرن السادس عشر، السابع عشر والثامن عشر .

وقد أكد الرحالة الأوروبيون استقلال الأوراس وعدم دخول الأتراك إليه في كثير من المواضع، فنجد بايسونال Peyssonel يصف لنا الأوراس في تلك الفترة قائلاً: " في يوم 22 جوان 1724م، دخلنا جبال الأوراس، إنها عالية جداً، شديدة الانحدار، جرداء (وهو ما يميز بعض الجبال في الأوراس). مليئة بالمياه العذبة والجيدة ، يقطنها أقوام شجعان ينحدرون من الشاوية\* القدامى ، الذين تكلم عنهم مارمول Marmol لا يخافون الأتراك ، وبما أنهم مجبرون على النزول إلى الأراضي المستوية للحرث ، فإنهم مجبرون بذلك على دفع الغرامة للأتراك ، وإن لم يفعلوا تحرق محاصيلهم."<sup>1</sup>

بقي الأوراس حصناً منيعاً على الأتراك ، ورمزاً للمقاومة حيث لم تفلح جميع الحملات التي قادها بايات قسنطينة من النيل من الأوراس و من رموز هذه المقاومة في القرن السادس عشر نجد الشيخ سيدي يحيى بن سليمان الأوراسي<sup>2</sup> الذي كان قاضياً لدى باي قسنطينة، فوقع نزاع بينهما، فهرب إلى الأوراس وقاد مقاومة ضد الأتراك، ولا يعرف مدتها أو مداها والملاحظ أن هذه المقاومة جاءت عقب ثورتى قسنطينة ضد الأتراك؛ الأولى سنة 1567م والثانية سنة 1572م.

وقد أكد المستشرقون الذين تحدثوا عن الأوراس خلال الفترة العثمانية استقلاليتها وانعزاله عن الأتراك ، ومنهم ( إميل ماسكوراى) يتحدث عن المنطقة

\* ذكرها بلفظة: "Chauvie"، وهي تسمية لم نجد لها أثراً، ربما يعني بها الشاوية

<sup>1</sup> J.MORIZOT- L'Aurés ou le mythe de la montagne rebelle...p.111

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص111.

قائلاً: " بفضل التأثير السلمي لزاوية بن عباس كان تمكين الأتراك من المرور عبر وادي الطاقة ووادي عبدي لإيصال المؤونة إلى حصنهم - ببسكرة - بينما رفض جيرانهم التوابة بالوادي الأبيض إعطاء تسهيلات لهم للمرور عبر ترابهم.<sup>1</sup>"

خلاصة القول أن المنطقة عرفت استقلالاً شبه تام في الفترة العثمانية، وما ساعدها على ذلك التركيبة الاجتماعية والنظام المعيشي الذي كانت تعتمد.

### ي - الأوراس والاحتلال الفرنسي:

بدأ التغلغل الفرنسي في المنطقة ، بالهجوم على المدخل الجنوبي للوادي الأبيض ، وهذا بمشونش بتاريخ 12 مارس 1844م، لتصددهم مقاومة عنيفة من السكان ، ليعاود الدوق دومال Duc D'Aumale الكرة بتاريخ 15 مارس 1844م، واشتدت المعركة بين الجيش الفرنسي والسكان الذين أبلوا بلاء حسناً، وكان التفوق للفرنسيين الذين يفوقونهم عدداً وعدة (حوالي 1200 جندي و400 حصان)<sup>2</sup> ، لتسقط أولى قلاع المنطقة في يد الفرنسيين ، الذين حرقوا قلعة مشونش ونهبوا ممتلكاتها وعاثوا فيها فساداً لتكون عبرة .

أما من الجانب العلوي من الوادي الأبيض ، بدأ الاحتلال بالحملة التي قادها الجنرال بودو ، ففي 14 فيفري قدم تقريراً إلى الوالي العام عن الحالة الأمنية بالأوراس ذكر فيه " إن سكان هذه الوديان والجبال المعارضين للوجود الفرنسي ، وهم سكان وادي عبدي والوادي الأبيض وجبل أحمر خدو وبني وجانة ، وعليه فإني

<sup>1</sup> أنظر: Jean MORIZOT- L'Aurés Ou le mythe de la montagne de rebelle ; P116 نقلا عن:

E. MASQUERAY : Note concernant les Aoulad Daoud Du Mont Auras, 1879

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص 127

سأخرج إليهم بقوة من مختلف الأسلحة وأتمركز بالمدينة قريبا من جبل شيليا حتى أستطيع أن أتوجه إلى هؤلاء السكان حيثما وجدوا، حاملا معي مؤونة شهر تقريبا.<sup>1</sup>

تحرك الفرنسيون باتجاه الشمال ب: 5070 جندي تحت قيادة الجنرال بودو إلى أن وصلوا إلى سهل يابوس، ليقابلهم السكان بتعداد قدره 2500 مجاهدا ، وفي جبل أم عشرة نشبت معركة بين الجبهتين دامت أكثر من ثلاث ساعات ، أجبرت المجاهدين على التراجع ، وفي اليوم الثاني استؤنف القتال قرب ثنية الخرشف واستمر إلى غاية الرابعة مساء ، لينسحب المجاهدون إلى جبال الأوراس، وطلب أعيان المنطقة الأمان، وتم توقيع ذلك مع الفرنسيين في ثنية الخرشف على الساعة الرابعة مساء.

وأخضع فيما بعد "لمدينة" ، فطلب أعيان عرش أولاد داود الأمان وفي يوم 03 جوان 1845م ، تمكنت القوة الفرنسية من بلوغ بني بوسليمان ، فأحرقت قلعتي القصر وجار الله ، ثم تم إخضاع أعراش السراحنة ، الشرفة، بني مَلْكُمْ، آث أيوب ، آث زرارة ، لغواسير، وآث عبد الرحمن وآث سليمان بن عيسى ، وآث يحمّد إلى أن وصلت إلى مشونش.

هكذا بسط الفرنسيون نفوذهم وقوتهم على المنطقة ، وتولى العقيد هيربيون مهمة التهئة ومتابعة أحمد باي ، ورغم هذا كله إلا أن الأوراس بقي كالبركان الخامد ، يثور مرة ويهدأ مرة ومن أهم الثورات: ثورة سي الصادق أو الحاج سنة

<sup>1</sup> أنظر: محمد العيد مطمر-الاحتلال الفرنسي لمنطقة الأوراس ( 1844م-1884م) -تاريخ الأوراس- ص

1858م وثورة محمد أمزيان بن عبد الرحمن بن جار الله سنة 1879م (قائدها إمام مسجد الحمام ، لدى فرقة اللحالحة من عرش آيدّاوذ).

إتحد سكان جبل أحمر خدو مع أعراش وادي الأبيض ووادي عبدي، فامتنعوا عن دفع الضرائب ، ودخلوا مرحلة جديدة وهي مرحلة العصيان والتمرد، ولكن فرنسا قابلتها بما هو أعنف، قابلتها بسياسة الإبادة والتهجير.<sup>1</sup> التي مازالت الذاكرة الجماعية تحتفظ بالكثير عنها ، كالعائلات المهجرة آنذاك إلى مناطق أخرى مثل : (قالمة و منطقة القبائل .)

بمرور الوقت وطدت فرنسا سيطرتها على المنطقة ، وفرضت قوانينها وأعرافها على السكان ، وصادرت أراضيهم خاصة بعد ثورة 1879م ، مما أثار استياء السكان ، وبصدر قانون 1882م<sup>2</sup> الذي حرّمهم من الرعي في الغابات التي أصبحت ملكا لفرنسا ، فقلل من حركتهم ونشاطهم ، فانعكس ذلك سلبا على اقتصادهم الذي يعتمد على الرعي وأوقعهم في شرك الفقر .

وخلال العقدين الأول والثاني من القرن الماضي ، ازداد استياء السكان وسوء حالهم ، بفرض قانون التجنيد الإجباري على أبنائهم ، الذي قوبل بالرفض وخروج الشباب عن طاعة فرنسا ، فأطلقت عليهم فرنسا اسم لصوص الشرف<sup>3</sup> ومن أبطالهم مسعود بن زلماط الذي تغنت به الذاكرة الشعبية .

ففي الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين الأولى و الثانية ، شهد الأوراس بعض الأحداث ، كامتناع السكان عن دفع الضرائب التي أهلكت كاهلهم ، كل هذه

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق ، ص 127

<sup>2</sup> أنظر: Jean Morizot - L'Aurés ou le mythe de la montagne rebelle - p164

<sup>3</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص170

الأسباب ساعدت على انتشار الوعي الوطني بانضوائهم تحت سقف الحركة الوطنية من خلال حزب نجم شمال إفريقيا ، ثم حزب الشعب الذي تأسس سنة 1937م ، ليتحول فيما بعد إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م ، ليتوج هذا الالتفاف حول الحركة الوطنية بالفوز الواسع في انتخابات المجالس في 4 أبريل 1948م لمرشح الحزب على المرشح الذي ساندته الإدارة الفرنسية . كان مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية الشهيد مصطفى بن بولعيد ، فقامت فرنسا بتزوير نتائج الانتخابات ، ليكون هذا التاريخ نقطة تحول في المسار التاريخي للمنطقة بصفة خاصة والجزائر بصفة عامة ، حيث تحول الأوراس خلال هذه الفترة إلى ملجأ للشوار الهاربين من قبضة الاستعمار ، بعد انكشاف أمر المنظمة السرية<sup>1</sup> وتوالت الأحداث إلى أن اندلعت ثورة التحرير الكبرى ، التي دامت سبع سنوات ، بذل فيها الجزائريون النفس والنفيس من أجل الجزائر ، فكانت بذلك من أعظم الثورات التحريرية في العالم.

### III- الإطار الاجتماعي:

تحدثنا كثيرا -فيما سبق- عن طبيعة المجتمع الأوراسي ذي السمعة التحريرية، التي اكتسبها من طبيعة البنية الاجتماعية التي تحكمه (النظام القبلي) ، لهذا سنشير هذه النقطة قصد التعرف عليه أكثر.

<sup>1</sup> أنظر: مصطفى بن بولعيد و الثورة الجزائرية 1374هـ - 1954م ، انتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس 1420هـ - 1999م ، باتنة ، ص573



كما سنتناول الأعراش التي تعيش بالوادي الأبيض ، وطبيعة البيئة اللغوية التي تحكم المجتمع الأوراسي (الشاوية) ، والتي سنجدها حاضرة بقوة في نصوص الأغنية الشعبية.

### 1- طبيعة البنية الاجتماعية:

يعتمد سكان الوادي الأبيض ، نظام الأعراش أو القبيلة منذ الأزل البعيد إلى يومنا هذا، ويطلقون كلمة "هارفيقت" بمعنى الفرقة التي تتفرع عن العرش ، هذا الأخير الذي يتكون من عدة فرق ، وهي على ثلاثة أنواع مثلما حددتها ج/ تيون...

- الجماعة ذات الأصل الأبوي الواحد.

- أو جزء منه

- مجموعة من الجماعات المجتمعة، تربطها علاقة أبوية أو أخرى تبرر هذا التجمع.

إن العامل المشترك بين هذه الأنواع الثلاثة من الجماعات الاجتماعية هو وجود علاقة تفسر هذا التكتل على شكل تنظيم اجتماعي (هارفيقت) .

أما في الحالة الثانية ، فإن السكان يفرقون بين "هارفيقت" الصغيرة وبين

"هارفيقت" الكبيرة و قد فرقت ج/ تيون بين نوعين من التجمعات :

- التجمع السياسي: وهو ما يطلق عليه اسم "العرش"

- التجمع العائلي: وهو ما يطلق عليه اسم "هارفيقت" وهي نوعان:

1- هارفيقت البسيطة: ويقصد بها بلغة المنطقة "آيث عمي" بمعنى كل المنحدرين

من جهة الأب.

2- هارفيقت المركبة: وهي الجماعة المنحدرة من أصل ذكر واحد وهي الوحيدة

التي يمكنها أن تشكل قبيلة أو هارفيقت ولكن قد يخرج الأهالي عن هذا التقليد:

أ- يمكن للقبيلة القليلة العدد أن تستعين بأشخاص أجنب ذوي سمعة طيبة لإعانتهم في أشغالهم.

ب \_ يمكن لذات القبيلة، إذا ما هاجرت إلى أماكن أخرى أن تتحالف هذه الفرق المهاجرة، مع العائلات الموجودة هناك.

ج- قد تمنح بعض القبائل قطعة أرض للمرابطين ، تبركا بهم.

د- قد يشتري شخص أو مجموعة أشخاص ، أرضا من قبيلة ما و يتم الاستقرار معهم.

هذه هي أهم التنظيمات الاجتماعية الفرعية التي قد تنتمي إلى هارفيقت

المركبة حسب ج/ تيون ، ويعد السبب الأساسي في تلاحم الجماعات بالأجنب،

سببا اقتصاديا بالدرجة الأولى، مراعاة للمصلحة العامة، عن طريق التعاون في

مختلف المجالات قصد الاستمرار، وتدرجيا تذوب الجماعة "العرقية" في هذا

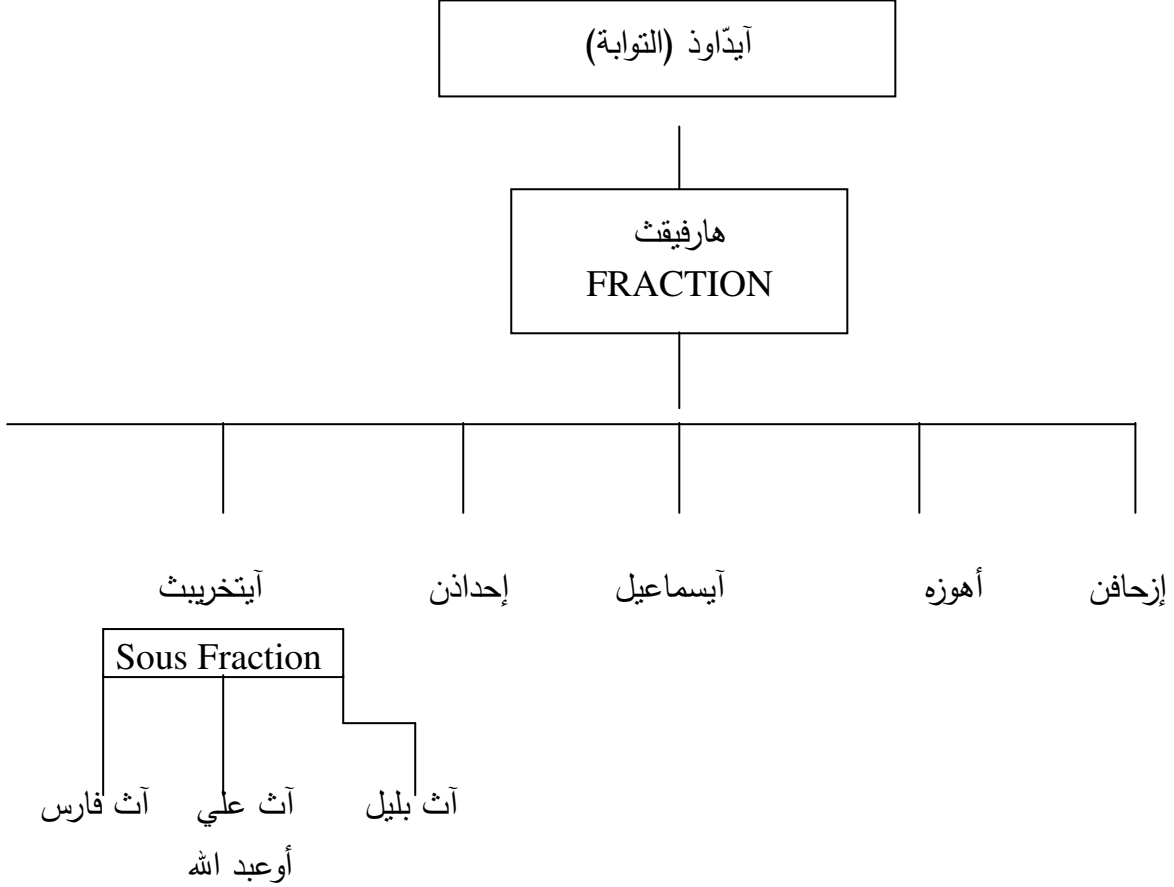
المجتمع الجديد.<sup>1</sup>

وحتى يتضح النظام الاجتماعي بالوادي الأبيض وضوحا لا يشوبه شائبة، نمثل

بهذا المخطط :

أنظر: محمود بن ضيف الله- ملاحظات حول بعض الكتابات الغربية عن الأوراس- تاريخ الأوراس...ص نقلا<sup>1</sup>  
- Les Societes Bérberes dans L'Aurés meridional -G. TILLION عن : 301-304  
Inafrica journal de l'inst.Int des langues et ctv.Afr ;VOL11 ,1938,p42

مثال: العرش / القبيلة La Tribu



أما عن الأعراش التي تسكن الأوراس ، فهي إحدى عشرة قبيلة ومنها :

1- عرش بني فرح ( عين زعطوط )

2- عرش بني بوسليمان (زلاطو، تكوت ، إينوغيسن)

3- عرش أولاد عبدي (وادي عبدي)

4- عرش أولاد دواد (الوادي الأبيض)

5- أعراش أحمر خدو (غسيرة ، القابل)<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أنظر: محمود عبد السلام . جغرافية دائرة آريس . تاريخ الأوراس.... ص 46

ونظرا لسياسة التقتيل والتهجير التي اتبعتها فرنسا أثناء تواجدها الاستعماري في الجزائر، قضت على كثير من القبائل والأعراش، كما أنها هجرت ونفت عدة أشخاص إلى الجزر في المحيطات خارج الوطن، ومنهم من نفتهم إلى مدن داخل الوطن، كأسر عديدة من عرش بني بوسليمان إلى شعبة سطيف والعلمة، وكذلك من عرش أولاد دواد إلى منطقة القبائل.<sup>1</sup>

يعتقد سكان الأوراس عموما، والوادي الأبيض خصوصا بالرواية الشعبية "بورك"، التي تؤرخ للأصول الأولى لأعراش المنطقة، وتلقى هذه الرواية الشعبية الوحيدة مصداقية وتقديسا كبيرين، لهذا السبب إعتدها الباحثون في دراساتهم، وتحدثوا عنها بإسهاب واهتمام، مرجحين إمكانية وجود شخصية بورك فعلا، وبفعل الرواية الشفوية والتواتر عبر الزمن، أضفى الرواة على القصة طابعا أسطوريا، فأصبحت بالشكل الذي تروى عليه الآن، وإمكانية وجود "بورك" لا يعني بتاتا أنه الجد الأول لكل تلك الأعراش، وإنما قد يكون الخيال الشعبي ربط بين الأعراش وبين هذه الشخصية الأسطورية، ليثبت عراقة النسب و الوحدة بينها ولعل لهذه الغاية أسبابا منها: توطيد العلاقة بين الأعراش لدرء أي خطر يهدد المنطقة، والظروف الطبيعية القاسية (خاصة في الشتاء) والظروف المعيشية القاسية التي تحتاج إلى العمل الجماعي في مختلف الميادين، وإلى الوحدة والتكاتف.

ورغم اختلاف الأعراش، إلا أنها تتفق على اسم الجد الأول "بورك" خاصة أعراش أيڤاوذ و آث عبدي والكثير من أعراش أحمر خدو.

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق، ص 46

ونورد أسطورة "بورك" برواية عرش آيدآوذ و آث عبدي والتي تقول: " كان في إيقلفن\* قلعة مبنية على جلمود مرتفع ، يقطنها شيخ مسن، رفقة ابنتيه ، إحداهما تسمى "عيشة تابهلوت"، وذات يوم مر مغربي، فقالت له عيشة: أكتب لي لخليلي"، فقال لها: إئتني ببيضة فأحضرت له بيضة، فكتب عليها، وقال لها تفقيدها من أسبوع لأسبوع.

عادت عيشة إلى البيت، وبعد أسبوع بدأت تنفق البيضة ، كما أوصاها المغربي ، ففقت البيضة وخرج منها ثعبان صغير، فحملته وأدخلته في شق بين الصخور، وأخذت تنتظر ما سيحدث.

ذات مرة مرت بالقرب من الصخور التي وضعت فيها الثعبان الصغير فوجدته كبيرا، يخرج من ذات الشق الذي وضعته فيه ، فامتلكها الرعب ، وولت مهرولة ، فتبعها الثعبان . وفي الليل عاد إلى الدواروأخذ يجول فيه ، فإذا بنباح الكلاب يوقظ امرأة من السكان التي رأت الثعبان الكبير، فأيقظت زوجها، لينظر ما سيفعله في أمر ذاك الثعبان.

أسرج الرجل حصانه وامتطاه هو وزوجه ، وذهبا إلى إيقلفن ، وفي هذا المكان كان يعيش شيخ ضرير يدعى "بورك"، فأعلمه خادمه بأمر الثعبان ، واحتشد الناس لملاحقته لقتله ، فأخذوا يرمون الصخور والحطب ، حتى ضيقوا عليه الخناق، ثم أضرموا النار للتخلص منه، فاحترق وذاب شحمه وكان الفصل صيفا، فإذا بالنحل يحوم على ما تبقى من الثعبان، وأخذ يمتصه كما يمتص رحيق الأزهار لصنع العسل.

\* مازلت موجودة إلى يومنا هذا، تحت اسم "هاقليعث إيقلفن"

ولما حان وقت جني العسل كانت الغلة وفيرة جدا، ولكن الناس خافوا من أكله  
ظنا منهم أنه عسل مسموم، فلم يجدوا أمامهم سوى بورك، الشيخ الضرير، فإن مات  
فلا جناح عليه ، لأن لا أحد سيهتم لأمره، فأكل بورك العسل ومسح بكتا يديه على  
وجهه، فإذا ببصره يرد عليه، وأخذ يأكل ويأكل حتى شفي تماما فصاحت عيشة  
تابهلولت: كانوا يريدون قتلك. فقال لها: إذهبي وأحضري أبنائي. فقال لهم: أنا لا أريد  
الدية وإنما أريد مقابلها الزواج من عيشة تابهلولت. فتزوج منها وأنجبت له الكثير من  
الأولاد ، الذين تنحدر منهم الكثير من قبائل الأوراس.<sup>1</sup> و تقول الروايات أن بورك تزوج  
مرتين ، و لمزيد من التوضيح ، نورد الجدول الآتي :

---

<sup>1</sup> أنظر: Ltcl Delqrtigue -Monographie De L'aures- 1904, P191

وقد أودتها كذلك: Germaine Tellion -Il etait une fois l'ethnographie- edition Sewil 2000, p.65-67

الأبناء و أهم الأعراش	الزوجات
<p>1. علي :</p> <p>بلخير : (سكان تاغيت سيدي بلخير من عرش أولاد عبدي) عزوز</p> <p>2. عبد الله :</p> <p>العابد ( أحمر خدو ) حاجز ( أحمر خدو ) مرزوق (أحمر خدو )</p> <p>3. سعادة :</p> <p>حميدان سليمان خليف يحي</p> <p>4. يوسف :</p> <p>عرش أولاد سعادة ب: نارة ، أمنطان و منعة أولاد لخضر بالقرب من بانتة</p>	<p>الزوجة الأولى: توبة</p>
<p>1. عبد الرحمن ( عرش أولاد عبد الرحمن بأحمر خدو )</p> <p>2. داود</p> <p>موسى (عرش أولاد داود )</p> <p>3. عبدي داود</p> <p>يوسف مهدي مسلم</p> <p>4. حماشي ( بالقرب من تبسة )</p> <p>5. يوب ( عرش أولاد أيوب بأحمر خدو )<sup>1</sup></p>	<p>الزوجة الثانية:تابهلولت</p>

<sup>1</sup> أنظر : Germaine Tellion – Il etait une fois... p69

وما يهمننا من كل هذا ، الأعراش الموجودة بالوادي الأبيض وهي: عرش آيدّاوڤ

(التوبة) ، عرش آث بوسليمان ، إغوسار ، عرش آث أحمد ، عرش آث علوي.

أ- عرش آيدّاوڤ (التوبة): يعد داود أول الأبناء الذين انفصلوا عن أبيهم "بورك"

ليستقر ببالول وهي قلعة التوبة ، وخلال هذه الفترة كان أولاد أوجانة يسكنون الوادي

الأبيض ، قبل أن يغزّوهم عرش أولاد داود ، ويطردهم منه ، وهو الحيز المكاني الذي

يقطنه عرش أولاد داود حاليا من تيغانيمين حتى سفوح جبل شليا من الجهة الغربية.

ويضم هذا العرش خمسة فرق وهي: اللحاحة أوآث إسماعيل - أهوزة - آيتخريبت -

إزحافن - آث عيشة - إحدان.

ب- عرش آث بوسليمان: يقطن هذا العرش واد شناورة (شعبة الهارة) إلى غاية التقائه

بالوادي الأبيض، ويمتد إلى الشمال الشرقي في أعالي الوادي الأبيض (واد إينوغيسن

حتى تَرْقَاغِين) أعالي شليا.

يضم هذا العرش عدة فرق وهي: آث سعادنة و آث سعدية ، آث عبد الرزاق، آث

أعمر، آث زرارة ، آث سليمان بن حمزة ، لمرادسة ، آث سيدي عبد السلام ، آث

قاسم ، آث سيدي عيسى.

ج- لغواسير: يتكون من أولاد سي احمد ، أولاد هلال ، الخذران ، أولاد عابد ، أولاد

ايدير ، أولاد منصور .

د- عرش آث أحمد: تتكون من ستة فرق ، يقطنون مشونش.

ه- عرش آث علوي: يتكون من ثلاثة فرق يقطنون بانيان.



وقد انفردت هذه الأعراش بنظام اجتماعي واقتصادي خاص حيث اهتدى - قديما- الفرد الأوراسي بعقله وحكمته إلى وضع نظام اقتصادي متميز، يمكنه من إيدار ما يمكن إيداره ليوم الشدة والحاجة، وهذا يوحي بشخصية تقدر الأمور، لها بعد نظر، لهذا شيدت الأعراش القلاع (هيقليعين) وهي نمط من أنماط العمران الاجتماعي، تبنى على أعلى قمة و تشيد على سفحها القرية (الدشرة) لغرض تخزين المؤونة كالحبوب والفواكه والطماطم المجففة ، وكذا لكليلة\* ولخليع\*\* .

وقد يملك العرش أكثر من قلعة، إذا سمحت امكانياته المادية ويطلق على القلاع اسم لون التربة أو اسم جد العرش مثلا "هاقليعت هازقاغث" أي "القلعة الحمراء"، "هاقليعت هامالنت" أي "القلعة البيضاء" وغاية هذه التسميات التمييز بين عرش وآخر.

تتكون القلاع من عدة طوابق ، تصل أحيانا إلى سبعة ، مقسمة إلى غرف صغيرة ، تختلف عن الغرف السكنية ، لأنها وضعت أصلا للتخزين لا غير . للقلعة عدة وظائف أهمها: الوظيفة الاقتصادية المتمثلة في نظام الإيدار والتخزين وكذا يدخر فيها ما يباع وهو الزائد عن الاستهلاك و تحقيق السكان للاكتفاء الغذائي أما الوظيفة الاجتماعية فتكمن في توحيد جهود القبيلة ، خاصة وأن القلعة تحمل اسم القبيلة ، فهي ملتقى أفرادها ، أخيرا الوظيفة الحربية والتي إكتسبتها بفضل موقع القلعة العالي ومدخلها الوحيد ، ما جعلها في منأى عن الغزاة والأعداء، وسهّل من الدفاع عنها وحمايتها بأقل عدد ممكن من الرجال.<sup>1</sup>

\* لبن يغلى ثم يجفف ، و يستخدم في إعداد بعض الأطباق الشعبية

\*\* اللحم المجفف

<sup>1</sup> أنظر: محمود عبد السلام- جغرافية دائرة أريس، تاريخ الأوراس... ص 50، ص 51

وكانت الأعراش تبني أمام كل قلعة مسجداً ومقبرة، وبهذا شكلت القلعة سلطة روحية تحكم الأعراش وتوجهها توجيهها صحيحاً ، وقد أقام السكان في سكنات محاذية للقلعة ، هذه الأخيرة التي اتخذوا منها نقطة انطلاق وعودة في حلهم وترحالهم وكان هذا النظام سائداً إلى غاية الثلاثينات من القرن الماضي، أين بدأ يضمحل و يتلاشى شيئاً فشيئاً لأسباب عدة منها القوانين الاستعمارية الجائرة التي شددت الخناق على تنقلات السكان و كذا مصادرة أراضي العرش .

ينتقل السكان صيفا إلى الجبال من أجل تفقد محاصيلهم و حملها إلى القلعة لتخزينها، ليأتي بعدها موسم الحرث و البذر ، وما هي إلا أسابيع حتى تشهد المنطقة زوابع ثلجية وبردا زمهريرا ، يجبر السكان على شد الرحال من جديد إلى المناطق الدافئة، طلبا للدفاء والكلاء، فهم يخافون موت ماشيتهم جراء البرد الشديد.

وقبل أن تعزم الفرق أو القبيلة على الرحيل، كانت تبعث شخصا يسمونه "أرياض" ليستكشف المكان ويتفقدده، إن كان مناسبا للرعي أم لا ، وبعدها يرحلون جماعات فينصبون خيامهم ويسكنونها مدة مكوثهم بالمكان، وما إن ينقضي فصل الشتاء حتى يعودوا مرة أخرى إلى سكناتهم المحاذية للقلعة.

وقد تولى سكان الوادي الأبيض -حاليا- عن هذا النمط المعيشي تدريجيا لعوامل كثيرة منها : تغير الظروف الاجتماعية من الأسوأ إلى الأحسن، مما دفع بأهلها إلى الاستقرار، وآخر آثار هذا النمط تعود إلى الثمانينات من القرن الماضي، خاصة وأن أبناء المنطقة شغلوا بطلب العلم عن الرعي، والتحقوا بالمصانع بدل المراعي.

ولم يبق من رواسب هذا النظام الاجتماعي، سوى انتقال سكان الوادي الأبيض من التجمعات الحضرية الكبيرة إلى الأرياف (الجبال)، ومن نظام الإدخار الجماعي (هاقلعيث) إلى نظام إدخار فردي، حيث تخصص الأسرة من بيتها بالجبال، مكانا أو غرفة مبنية بالطين والحجر، لتخزين كل ما تجنيه من محاصيل خاصة القمح والشعير والبطاطا و لخليع و لكليلة و العسل... حيث تكون هذه الغرفة باردة صيفا ودافئة شتاء.

## 2- البيئة اللغوية:

لا تكتمل الدراسة إلا بالتطرق للبيئة اللغوية ، التي يحيا فيها سكان الوادي الأبيض ، باعتبار اللغة الوسيلة الأولى للتواصل خاصة و أن سكان الوادي الأبيض يتحدثون بلسان أمازيغي ( المتغيرة اللسانية - الشاوية - ) ، التي تميز مختلف انتاجاتهم الأدبية الشفوية .

ولهذا عرف ابن جني اللغة في كتابه "الخصائص" بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ،حيث لم تتجاوز اللغة في بدايتها عالم الماديات، ولكنها فيما بعد قفزت إلى عالم الفكر والمعنويات، فهي كائن حي متطور، يؤثر في المجتمع، ويتأثر به ، وبذلك فإنها تتبع المستوى الحضاري صعودا وهبوطا، كما أنها في نفس الوقت عامل من عوامل الرقي والانحطاط.<sup>1</sup>

لهذا يمكن القول أن لكل أمة من الأمم ثلاث لغات مختلفة: لغة يتعامل بها في حياته اليومية على المستوى المحلي، لذلك نجدها متباينة من منطقة لأخرى، ويطلق على هذا النوع من اللغة اسم "اللهجات المحلية" أو الدارجة.

<sup>1</sup> أنظر: محمود ذهني- الأدب الشعبي العربي "مفهومه ومضمونه"- مكتبة الأنجلو المصرية .....، ص 93

ولغة ثانية يتعامل بها الشعب كله على مستوى الأمة، فيضع لها القواعد الضابطة والحروف الكاتبة، والمعاجم الشارحة... فنتجت "اللغة القومية أو الرسمية" التي تستخدم في الدواوين. وأخيرا اللغة الأدبية.<sup>1</sup>

ومجتمع الوادي الأبيض يملك هذه الثلاث لغات :

أولها: اللهجة الشاوية وهي اللغة الأم.

واللهجة العربية العامة وهي لهجة ثانية/ لهجة مختلطة

ثانيها: اللغة العربية الفصحى

ثالثا : اللغة الأدبية\*

ويتواصل سكان الوادي الأبيض باللهجة الشاوية في جل تعاملاتهم، ويستعينون

أحيانا باللهجة العربية ، لهذا سنتحدث عن هاتين اللهجتين:

أ- **اللهجة الشاوية**: تنعت لهجة سكان الوادي الأبيض ب: "اللهجة الشاوية"، نسبة إلى تسميتهم "الشاوية" وهي إحدى فروع اللغة الأمازيغية ، وقد رد الباحثون هذه التسمية إلى عدة تفسيرات أهمها:

- أن العرب هم الذين أطلقوا على سكان الأوراس اسم "الشاوية" إستناد إلى طبيعة معيشتهم التي يعتمدون فيها على تربية الماشية واهتمامهم الكبير بها إلى يومنا هذا. لأنها المصدر الأول لرزقهم.<sup>2</sup> وقد تكون التسمية أقدم بكثير .

كما أنهم كانوا يطلقون اسم "هشاويث" على قطيع من الغنم ، ونظرا للتطور اللغوي الذي طرأ على الكلمة تحولت إلى كلمة " شاوية".

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق ، ص 94

\* نتحدث عنها لاحقا

<sup>2</sup> أنظر: محمود عبد السلام - جغرافية دائرة آريس- تاريخ الأوراس.... ص 111

- أما التفسير الثاني فيرد سبب التسمية إلى تمركزهم على شكل قرى صغيرة، وتجمعات سكانية متفرقة في الأودية والجبال والوهاد، ويطلق لفظ "شوي" على القلة، فأصبحوا ينادونهم "الشاوية"

- أما التفسير الأخير، فقد تكون كلمة "شاوية" مرادفة لكلمة "البدوي" أو "الجبلي" أو "الصحراوي"<sup>1</sup>

ونرجح من هذه التفسيرات الثلاثة، التفسير الأول الذي نراه أقرب إلى الصحة، مقارنة بباقي التفسيرات، نظرا لوجود الكلمة في القاموس اللغوي لأهل المنطقة، وكذلك معناها الذي يتطابق مع طبيعة النمط المعيشي الذي يحيونه إلى يومنا هذا.

يعتز سكان الوادي الأبيض كثيرا بلهجتهم، ويفضلونها في تعاملاتهم اليومية، لهذا تلقى رواج وانتشارا بين مختلف الشرائح الاجتماعية خاصة شريحة المسنين، فهم مازالوا يتحدثون اللهجة الشاوية القحة لاستعمالهم كلمات قديمة، استغنى عنها غيرهم واستبدلوها بألفاظ دخيلة من لغة أو لهجة أخرى، كما يخط السكان أحيانا بين اللهجة الشاوية واللهجة العربية العامية، بحكم تنقلاتهم واحتكاكهم بأناس من خارج المنطقة.

ولم يكن لهذه اللهجة أن تبقى إلى يومنا هذا، لولا المرأة الأوراسية التي حافظت عليها على مر العصور، وحرصت على تلقينها للأبناء باعتبارها "اللغة الأم" التي لا استغناء عنها، وهي ميزة مشتركة بين النساء الأمازيغيات (القبايلية، التارقية،.....) فهي المدرسة الأولى للطفل، وكم تلقى المرأة الغربية عن الشاوية احتراما وتقديرا، إذا ما تعلمت لهجتهم، وتواصلت بها معهم.

<sup>1</sup> أنظر: محمود عبد السلام - جغرافية دائرة آريس - تاريخ الأوراس...ص111

وقد تحدث الباحثون الأوروبيون عن طبيعة اللهجة الشاوية ، فذكروا أنها تأثرت كثيرا باللاتينية وأخذت عنها ، كما ذكر ماسكوراى أن اللهجة الشاوية هي لغة منطوقة لا مكتوبة ، فهي واسعة وثرية على مستوى النطق ومختلفة من منطقة لأخرى ، ففي شرق الأوراس مثلا يتحدثون "زناتية" بينما في غرب الأوراس يتحدثون "تمازيغت" ويضرب مثلا بلهجة النساء التي تمتاز بالخفة، ذات جرس موسيقي يشبه شدة الطيور، فالصوائت فيها جد ممدودة ، وجد مفتوحة.<sup>1</sup>

اللهجة العربية "العامية": هي ثاني اللهجات التي يستعملها سكان الوادي الأبيض، التي استقوها من عدة لهجات، ذات نبر أو نغمة تسفر عن أمازيغية المتحدث.

يتعامل سكان الوادي الأبيض باللهجة العربية ، تعاملًا محدودًا ومناسباتيًا- إن صح التعبير- أي كلما اقتضت الحاجة لذلك ، ويتخرج بعضهم من الحديث باللهجة العربية ، لكونهم لا يتقنونها إتقانًا جيدًا ، لذلك لا يستعملونها إلا عند الحاجة. نافلة القول: أن سكان الوادي الأبيض يتحدثون بلسان أمازيغي صرف ، لأنها اللغة الأم التي نشأوا عليها و هذا لا يمنع من إستعانتهم باللهجة العربية ، وأحيانًا يخلطون ما بين اللهجتين (الشاوية والعربية).

#### IV- واقع الأدب الشعبي في الوادي الأبيض:

بعدما تمثلت واتضحت لنا الأطر الثلاثة: الجغرافية والتاريخية والاجتماعية في حدودها المكانية (الوادي الأبيض)، نقف في هذا العنصر على واقع الأدب الشعبي بذات المنطقة ، بالحديث عن مختلف أشكاله الأدبية: الأمثال الشعبية ،

<sup>1</sup> أنظر: Mathea GAUDRY -La Femme chaouia de L'Aurès - Chihab- Awal,1998, p.31

الأغاز الشعبية ، الحكاية الخرافية وأخيرا الأسطورة والأغنية الشعبية ، وكثيرا ما ذكرنا هذين الشكلين الأخيرين ، لاقتراهما من حيث النشأة .

وإذا كنا قد عرضنا هذه الأشكال الأدبية الشعبية في هذا المقام ، فإننا لا نعني بذلك أننا استوفينا حقها من الدراسة ، وإنما نود أن نحقق غاية علمية فحسب ، وهي التعريف بثناء المنطقة بتراث شفوي كبير ، لم يكتب له الجمع والدراسة بعد ، عسى أن تسهم هذه الوقفة السريعة في إثارة انتباه الباحثين وإهتماماتهم مستقبلا لدراسته.

وأول شكل أدبي تعرفه منطقة الوادي الأبيض:

**1- الأمثال الشعبية:** تعج الحياة عموما ، بصنوف شتى من مدركات الأحوال المعاشة تفرز في فترات متعاقبة جملة من التجارب التي تتكرر يوميا ، ورغم ذلك لا يمكننا أن نضع قانونا موحدًا أو أحكاما عامة تضبط سلوكياتنا، لأن تجاربنا في الحياة قد تتفق أحيانا ، و تتناقض أحيانا أخرى ، وكلما أحس الإنسان بوقعها على حياته كان أشد ميلا للتعبير عنها<sup>1</sup> بطريقة ما .

ومن بين هذه الطرق التي سلكها الإنسان "الأمثال الشعبية والتي يعرفها ابن عبد ربه قائلا: "الأمثال وَشْيُ الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلّي المعاني ، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونُطق بها في كل زمان على كل لسان ، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيئٌ مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل . [وقال الشاعر]:

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل و الخابر<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - ط 3 ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،

(د.ت.)، ص 177

<sup>2</sup> أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي . العقد الفريد . ج3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص63

فهو يشير إلى خاصية جمالية ، ينفرد بها المثل الشعبي عن غيره من الأشكال الأدبية وهي جمال الأداء ، ووضوح المعنى وسعة التداول.

ويضيف إليها أبو هلال العسكري خاصية الإقتصاد اللغوي، حيث يقتصد المتكلم في لغة المثل من أجل أن يتلقى المستمع أكبر قدر من المعاني حيث يقول: " فهي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله؛ لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها. ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب ، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب؛ والحفظ موكل بما راع من اللفظ، ونَدَرَ من المعنى.."<sup>1</sup>

وما يميزها عن الحكمة، أن للأمثال الشعبية موردا ومضربا: فالمورد هو الموقف الأول الذي صدر فيه المثل، أما المضرب فهو السياق الذي أعيد انتاجه من خلاله.

ولما كانت هذه المزايا مجتمعة موجودة في المثل الشعبي ، خاصة منها ظاهرة الإقتصاد اللغوي التي مكنت المتكلم من أن يوظف مثلا شعبيا واحدا يوحى بالمعنى المراد وينوب عن الكثير من الكلام الذي يود أن يصرح به .

يطلق سكان الوادي الأبيض مصطلح " أوّال" على الأمثال الشعبية، وبالمقابل ثمة مصطلح حديث يدل على نفس المعنى وهو " أنزائن" والتي استقطبت اهتمام سكان الوادي الأبيض، فشغل المثل الشعبي عندهم حيزا ملحوظا في حياتهم اليومية حيث يفضلون التواصل عن طريقه، لميلهم الشديد إلى التمثيل والتلميح أكثر من

<sup>1</sup> أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . جمهرة الأمثال . ج1، ط1، ضبطه وكتبه هوامشه ونسقه: أحمد عبد السلام ، خرّج أحاديثه : أبو هاجر محمد ، سعيد بن بيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1988م ، ص10.



التصريح، وهو من الأشكال الأدبية الأكثر انتشارا واستعمالا إلى جانب الأغنية الشعبية.

استلهم سكان الوادي الأبيض أمثالهم الشعبية من طبيعة حياتهم اليومية التي يحيونها فلم يتركوا موضوعا إلا وضربوا فيه مثلا ، يكتسب سلطة مطلقة من قبول الناس وتداولهم له ، لهذا تنتوع مواضيع الأمثال الشعبية بمنطقة الوادي الأبيض ، فمنها أمثال في المرأة ، وأخرى في الصناعات التقليدية وكذا في الفلاحة ومن بين أهم العوامل التي أسهمت في تنوع الموروث الثقافي بالوادي الأبيض ، تعاقب الشعوب التي استوطنت أو استعمرت الشمال الإفريقي من قرطاجيين ورومان وبيزنطيين وعرب وأتراك وفرنسيين ، والتي أثرت على الموروث الشعبي ، خاصة المتعلق منها بالفلاحة ، إضافة إلى الموروث الأمازيغي الأصلي الذي استطاع أن يستوعب كل هذه التجارب ويصبغها بصبغته الخاصة ، لهذا قد نعثر على أمثال شعبية بالشاوية ، ونجدها بذاتها في مناطق أخرى ناطقة بالعربية مثل:

أَوْدَجِينْ إِمَّ زُوُورَا، متى أدِينِينْ إِنْقُورَا" ما يقابله: ماخلاو اللاولين واش يقولو لآخرين.<sup>1</sup>

.وي فْحَسَنْ الْعُودَا آس تَيْسَعُ بَابَاسْ، وَي فْحَسَنْ هَامْطُوثُ آسْتِيَارُو عَمَّيْسُ بِمَعْنَى:

من أراد حصانا يشتريه له والده، ومن أراد امرأة يلدها له عمه.

ويضرب هذا المثل للترغيب والمحافظة على زواج الأقارب (أبناء العمومة) وهذا يوحي بطبيعة الزواج الذي كان يتم بين أبناء العرش الواحد .

<sup>1</sup> أنظر: OUNISSI Mohamed Salah -Inzan D Timesâreq proverbes et devinettes chaouis-

2- الألغاز الشعبية: ويطلق في المفهوم الشعبي لفظة " هامحاجيث " بمنطقة الوادي الأبيض ، و قد نشأ اللغز الشعبي منذ قديم الزمان حسب رأي موريس بلوم فيلد\* - حينما كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به ، فكلما كانت الرؤية أكثر نضارة ، ازدادت الرغبة في إدراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة. ولهذا نجد الأنواع الأدبية الشعبية مثل: الأسطورة ،الحكايات الشعبية والحكايات الخرافية ، تتضمن اللغز لأنه يشير إلى غموض الحياة ، وهو في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل البكر<sup>1</sup>.

ويقرن جيمس فريزر بين نشأة اللغز وفن الغناء ، حينما يتحدث عن دور اللغز في حياة البدائيين ، فيذكر أنه كان من عادة قبيلة من قبائل البانتو\* أن ترقص النساء عرايا في احتفالات سقوط المطر وهن يغنين: "أسقطي أيتها الأمطار" فإذا اقترب شخص من المكان ، ضربته النساء وطرحن عليه الألغاز لحلها.<sup>2</sup> وهذا يوحي باستعانة البدائيين بالغناء والرقص أثناء أدائهم طقوس استدرار المطر، وهي ذات الطقوس- مع اختلاف ما- التي كان سكان الوادي الأبيض يؤدونها في ذات المناسبة ، بمعنى أن الغناء قد رافق الإنسان منذ الأزل في مختلف المناسبات ، ليعبر عن فرحته وعن حاجته في كثير من الأحيان.

\* في بحث عن الألغاز البراهمانية ، ألقاه في مؤتمر الفن والعلم سنة 1904 م

<sup>1</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم- أشكال التعبير في الأدب الشعبي- ص 192 نقلا عن: Standard dictionary of folklore , Hythology and legend vol :11 p 939

\* من بينها قبيلة البارونجا Baronga، يعيشون على شواطئ خليج ديلاجو Delagoa في جنوب إفريقيا

<sup>2</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير...- ص 191 نقلا عن : James Frazer\_ The Golden Bough , vol 111, p154

كما يروي جيمس فريزر عن بعض قبائل الهند الصينية التي تجتمع قبل موسم حصاد الأرز، أين يطرح بعض الأفراد ألغازا لحلها ، وعند حل كل لغز يصيح الجميع "دع أرزنا ينمو في الجبال والسهول" على أنه يمتنع طرح الألغاز في الفترة ما بين انتهاء موسم الحصاد وميعاد الزرع الثاني<sup>1</sup>.

وقد اختلفت مناسبات طرح الألغاز ، فقديمًا كانت تطرح في حالات يخشى فيها من حدوث أزمة ، كأن يقف الزرع عن النمو أو أنها مناسبات يكون فيها مصير الفرد أو الشعب كله معلقًا، فسقوط الأمطار ونمو النبات والحصاد والختان والزواج والدفن ، كلها مناسبات كانت تطرح فيها الألغاز، لاشتراكها مع اللغز في ظاهرة الغموض<sup>2</sup>.

أما في منطقة الوادي الأبيض فقد تضاعف تداول هذا الشكل الأدبي الشفوي ، نظرا لذات الأسباب التي أدت إلى تضائل ترديد التراث الشعبي عموما في مختلف أنحاء العالم ، كالتلفزيون والإذاعة، ووسائل الاتصال والإعلام عموما، وكذا الانترنت وغيرها، والتي تلعب دور التسلية والتعليم والتثقيف وإنماء الذكاء والترفيه. ومن بين الألغاز التي مازالت عالقة بأذهان سكان الوادي الأبيض قولهم:

1- حَقَّقُورُ أَوْبَقُّورُ أَوْذِ إِيحْبُو أَوْذِ يَفُّورُ . الحل : المنزل

2- زُ قِبَقَّةَ وَ رُقِيقَهَا إِهْبَلْ ، تَأْكُلُ بَنِّيَابَهَا وَ تُعْطِي فِي جَنَابِهَا . الحل : صنارة الغزل

ومن المسنين\* الذين التقيناهم ، شيخ في السبعين من عمره والذي يحفظ حوالي

ألف لغز أو أكثر ، منها باللهجة الشاوية وأخرى بالعربية ، ومن الخسارة

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق ، ص 192.

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص 192

\* الرواية هو ب . محند ، عمره يتجاوز السبعين سنة ، آريس .

جدا أن تضيع الألبان وتتدثر ، إذا لم نجمع ما بقي منها قبل موت الحفظة ، خاصة المسنين منهم ، بعد أن حاد الكثير من الناس عن تناولها أو حفظها لأسباب متباينة.

3- **الحكاية الخرافية:** يقابلها بالمفهوم الشعبي الشاوي لفظة "هاقسيط"، وهي في الأصل تجربة وقعت لبطل ، وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطر، تلعب فيها الخوارق دورا بارزا ، تترجم هذا الدور من خلال حركية الجن والعفاريت والغول والشيطان و المغارات والوديان..<sup>1</sup>

وقد ساعدت الطبيعة الخلابة التي حبا بها المولى -عز وجل- منطقة الوادي الأبيض ، على رحابة خيال مبدعيها ، فتفننوا في سرد روائع من الخيال المجنح، تناولوها كثيرا في السنوات الماضية ، بينما قل ترديدها حاليا ، رغم أن الظروف مازالت مواتية لراويها خاصة عند السكان الذين يقيمون على ضفاف الوادي الأبيض في بيوت تقليدية مبنية بالطين والحجر، وبها مدفئة تقليدية توقد بالحطب الذي تجمعه النسوة شتاء وصيفا ، أو تشتريه الأسرة من الحطاب . ففي الشتاء توقد المدفئة للطهي والتدفئة ، أما صيفا فلطهي بعض الأطباق الشعبية المحلية التي لا تحلو لهم إلا على نار الحطب.

على الرغم من هذا الجو المتميز ، الذي قلما نصادفه في وقت طغت فيه التكنولوجيا والحضارة على العالم ، وضيقت من التجمعات العائلية ، بل كادت تقضي عليها ، إلا أنه نادرا ما نصادف من يروي القصص الشعبي، ويرجع السبب -حسب رأبي- إلى تعويض وسائل الإعلام هذه التجمعات العائلية ، ورواة القصص

<sup>1</sup> سعيدي محمد - الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص

الشعبي بمختلف ألوانه ، وكذلك إلى كثرة الأعمال التي يقوم بها سكان الوادي الأبيض من رعي للأنعام، وجلب للماء، وفلاحة الأراضي وكذلك قطع المسافات الطويلة، في المسالك الوعرة لجلب رزم الحطب، وغيرها من الأعمال الشاقة التي تنهك عاتق الفرد، فبعد أن يقضي نهارا مضنيا ، لا يفكر إلا في الخلود للنوم، حتى يستجمع قواه لغد جديد.

ولا بأس من ذكر بعض العناوين لحكايات خرافية\* ، طالما ردها سكان الوادي الأبيض ، والتي مازالت عالقة بأذهانهم ، ونتمنى أن تجمع قبل أن تضيع مثلما اندثر الأقدم منها كحكاية "حطوش أوبطوش"، "علي زرزّر" ، "حند أوتغولت" وغيرها.

#### 4- الأساطير:

تدل لفظة "أساطير" على معنى "أباطيل" ، وأحاديث لا نظام لها أو خرافات وأكاذيب ، والظاهر أنها لفظة لم ترد بصيغة المفرد (أسطورة) عند القدامى، وهي تشبه كلمة "HISTORIA" اليونانية، وتدلان معا على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ ، كما تدلان على ما تركه الأقدمون من روايات وحكايات ، غالبا ما تكون خارقة للعادة. وتذكر نبيلة إبراهيم أن المعنى الأصلي لكلمة "Myth" أو "Mythos" عند الإغريق القدماء تعني الكلمة المنطوقة ، ثم تحدد استعمالها بعد ذلك ، لتدل على الحكاية التي تختص بالآلهة وأفعالها ومغامراتها<sup>1</sup>.

\* لمزيد من الإطلاع في هذا الموضوع أنظر: أحمد عزوي - القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس . ط1،

الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ( د. تا ) .

<sup>1</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم . أشكال التعبير في الأدب الشعبي . ص18

وقد عبر أحمد كمال زكي عن نفس الفكرة بقوله: " أن تلك الجماعة أو الجماعات كانت تقدم القرابين للآلهة ، وكان لابد أن تقول شيئاً وهذا الشيء هو الأسطورة ، فمعنى الأسطورة... هو الكلام المنطوق ... قبل أن تصبح الحكاية التي تختص بالإله وأفعاله"<sup>1</sup>، وغالبا ما تروي الأسطورة البدايات ، بمعنى الكون أو الإنسان أو بداية شعب أو مجتمع.<sup>2</sup>

ولهذا عرفتها نبيلة إبراهيم " أنها محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له ، إنها نتاج وليد الخيال ، ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد "<sup>3</sup>.

وبالمقابل فنّد هربرت ريد ، الرأي الذي يزعم أن أساطير الأولين كانت محاولات لتفسير الكون مثلما ادعى فريز Frazer وتلاميذه ومن بعده ، بينما يقرر هورتيك أن الأسطورة هي الفترة الدينية للجيولوجيا وعلم الحيوان ، نشأت على أطلال كانت يوما قصورا أو مدنا عامرة ، ويذهب لويس سبنس Louis Spence إلى أن الأسطورة بمدلولها المعروف مرحلة تابعة للأسطورة ، والتي كانت أحد طقوس العبادة ، في حين يعترف مالينوفسكي Malinowski بحدوث الأسطورة بعد وقوع "المعجزة السحرية" في طقوسها ، التي لا يمكن أن تقوم إلا بوجود مهارة طبية أو رواية سياسية أو تجربة اجتماعية سابقة حسب رأي ريموند فيرث.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أحمد كمال زكي - الأساطير - مهرجان القراءة للجميع . مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002 م ، ص15

<sup>2</sup> أنظر: عبد الله العروي - ثقافتنا في ضوء التاريخ - ط4 ، المركز الثقافي العربي ، 1997م ، ص10

<sup>3</sup> نبيلة إبراهيم . أشكال التعبير في الأدب الشعبي . ص17

<sup>4</sup> أنظر: أحمد كمال زكي - الأساطير . ص 13-14

وينحو منحى هربرت ريد أحمد كمال زكي الذي يقسم الأسطورة من حيث النشأة إلى أطوار، فيذكر أن الأسطورة في طورها الأول كانت جزءا من طقوس العبادة داخل المعبد أو أمام المذبح -إن كان وجد- أو قبالة سيل جارف أو على حافة قفر يحتاج إلى الاستمطار ليخضر.

أما الطور الثاني فاستخدمت " للتعليل والرمز ثم الإشادة ببعض القادة ، كانت فلسفة وبيانا وقوة اجتماعية ترصد لكل ما يسعى وراءه علماء الإنسان "الإنثروبولوجيون" من تقييم لحضارات ترجع إلى نحو مائتي قرن قبل الميلاد<sup>1</sup>.

ما يريد أن يؤكد أحمد كمال زكي في هذا القول ، أن نشأة الأسطورة بكل أنواعها ، لم تكن نشأة واحدة ، بل عبر مراحل ، ففي كل طور نشأ نوع معين ، ففي الطور الأول ظهرت أساطير الآلهة ، أما الطور الثاني فنشأت الأساطير التعليلية والرمزية وبعدها البطولية وهكذا.

ولما كان الغناء من بين الأمور التي حيرت الإنسان وشدت انتباهه ، وأثارت تساؤلاته ، راح ينسج أساطير خالدة عن الصوت الجميل الذي يأسر النفوس ، مثله مثل أية ظاهرة كونية غريبة ، ومن أروع ما خلدته الأساطير العربية الحديثة، أسطورة "النغم التائه" التي تجمع بين أسطورة أدونيس وعشتروت و أسطورة قابيل وهابيل<sup>2</sup>.

ومتلما ارتبط الغناء بالأساطير ارتبط كذلك بالدين "فآداب العالم كلها تتبعث من المعبد القديم ، وكانت في بدايتها الأولى والجزء القولي من الطقس الديني ، حيث

<sup>1</sup> المرجع السابق ، ص13

<sup>2</sup> لمزيد من الإطلاع حول أساطير الغناء ، أنظر: مصطفى علي الجوزو . من الأساطير العربية و الخرافات . دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، 1980م، ص51

ظهر الغناء والإنشاد كجزء من فروض العبادة ، وحيث ظهر التخيل وتجسيد الآلهة في المناسبات كجزء أساسي من أداء الطقس الديني... وتبلورت في هذه الفترة الأجزاء القولية في الشكل الذي عرفناه باسم الأسطورة بأنواعها المتعددة".<sup>1</sup>

ويؤكد أغلب الباحثين أن الأسطورة "ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمناسبات الدينية ، التي تحددتها قصة سردية تتصل بالشعيرة ، إذ يعتبرها معتقوها حقيقة معيشة وليس مجرد قصة تقص"<sup>2</sup> ، ولهذا كانت كل المناسبات الدينية ، تحيا وفق طقوس خاصة لازمتها زما طويلا ، ومن هنا كانت الأسطورة وصفا لهذه الطقوس أو هي الحكاية التي ترتبط بها.<sup>3</sup> وما أكثر هذا النوع من الطقوس الدينية بالوادي الأبيض ، والتي توحى بانتشار فكر أسطوري في حقبة زمنية ما ، خاصة إذا عرفنا أن المنطقة شهدت مختلف الديانات من وثنية ومسيحية ويهودية ، قبل أن يعتنق سكانها الدين الإسلامي.

من هذا المنطلق يمكن أن نؤكد أن سكان الوادي الأبيض، عرفوا فن الأساطير بنفس الشكل الذي عرفه اليونانيون ، والتي تروي مغامرات الآلهة ولكن عزوف الرواة عن ترديدها ، بعد اعتناقهم الإسلام ، حال دون وصولها إلينا خاصة وأن المغاربة القدامى قدسوا الشمس والقمر والكهوف والمغاور وعبدها في فترة من فترات حياتهم ، كما قدسوا النار والبقر والنجوم وغيرها ، وحتى الأساطير التي مازالت تروى تعتمد ذات الرموز، فلا غلو إذا ما قلنا أن هذه الطقوس والمعتقدات، قد

<sup>1</sup> فاروق خورشيد- الموروث الشعبي - ط1، دار الشروق، 1992م ، ص35

<sup>2</sup> وطفاء حمادى هاشم - التراث أثره وتوظيفه في مسرح توفيق الحكيم - المجلس الأعلى للثقافة- مطابع الهيئة

المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 19

<sup>3</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم- أشكال التعبير في الأدب الشعبي.... ص17



تحولت ذات مرة إلى أساطير ، وبمرور الزمن اندثرت كما اندثر الكثير من النصوص الشفوية ، ومن بين بقايا الطقوس التي توحى بعبادة سكان الوادي الأبيض للشمس شأنهم في ذلك شأن كامل الشعوب في العصور القديمة ، مع إمكانية العدول وعبادة ديانات التوحيد لاحقاً.<sup>1</sup>

ومن بين الرواسب التي مازالت موجودة إلى اليوم أن أطفال الوادي الأبيض يمنحون السن- بعد قلعه- إلى الشمس متوجهين إليها وهم يرددون: " أوشياغأمْد هِغْمَسْتُ تَأُورَاغْتُ ، أوشايدُ هِغْمَسْتُ تَامَلَلْتُ أَمْ غِي . " بمعنى " أعطيتك سنًا أصفرا ، وأعطيني سنًا ناصعا كالحليب . "

والواضح أن هذا السنّ المهدى للشمس، يعوض الأضاحي والقربان التي كان المغاربة يقدمونها للشمس في عصور ولّت ، وهذا بهدف الإشادة بإله الشمس الذي يبعث الدفاء والحياة والحركة ، في تصور الإنسان القديم من الارتباط بفصول الزراعة والحصاد ، فهي بمثابة المقدس الذي نفخ الحياة في كل شيء في هذا الوجود.<sup>2</sup>

ومادام سكان الوادي الأبيض يمنحون للشمس سنًا، وينتظرون منها جزاء وعطاء ، فهذا يؤكد أن من الترسبات العالقة بالأذهان قدرة الشمس على المنح والمنع. ورغم التطور التكنولوجي، وقبله الدين الإسلامي ، إلا أن كل هذه المستجدات في حياة سكان الوادي الأبيض ، لم تتمكن من القضاء كلية على التفكير الأسطوري عندهم ، حيث مازالوا إلى يومنا هذا ، يعتقدون بالنبوءة ومفادها أنه إذا

<sup>1</sup> أنظر: محمد الصغير غانم - الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا - دار الهدى، عين مليلة -

الجزائر (د.تأ)- ص22

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص19

انقطعت عنهم أخبار عزيز أو اشتاقوا لرؤيته ، ينادون عليه في قدر فارغ وعميق ، ثلاث مرات، معتقدين أن هذه الطريقة تعلمهم بأمر الغائب ، إذ ما يلبث أن يظهر المنادى عليه ، أو يزورهم حتى ولو كان في بلاد بعيدة - حسب رأيهم- وهي نفس الطقوس التي كان العرب يمارسونها قديما ، فقد روي أنهم إذا غم عليهم أمر الغائب ولم يعرفوا له خبرا جاءوا بئرا عادية (أي مظلمة بعيدة القعر، وبالتشديد منسوبة إلى عاد كناية عن قدمها.)، أو جاؤوا إلى حفر قديم ونادوا فيه: يا فلان، أو يا أبا فلان ثلاث مرات، ويزعمون أنه إذا كان ميتا لم يسمعوا صوتا، أما إن كان حيا سمعوا صوتا، ربما وهما أو سمعوه من الصدى. وفي ذلك يقول الشاعر:

دعوت أبا المغوار في الحفر دعوة

فما آب صوتي بالذي كنت داعيا.

أظن أبا المغوار في قعر مظلم

تجر عليه الذاريات السواقيا<sup>1</sup>

ونتج عن تقديس النجوم ، إنتاجات أدبية لم يبق منها إلا القليل ، كما هو الحال فيما يرويه سكان الوادي الأبيض من بقايا أسطورة: "الثريا" وتسمى باللهجة الشاوية أسطورة "أطرياث".

تروي الأسطورة حكاية ثلاث مجموعات من النجوم: الثريا- علي بن شوي ولَعَصَ وَوَاتْ ، وكانت الثريا أميرة تتربع على عرش السماء ويحطن بها خداماتها(لعصوات) ، وبينهما الراعي علي بن شوي ، هذا الأخير الذي كان يسعى

<sup>1</sup> أنظر: نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي.. ص22 ، نقلا عن : بلوغ الأرب ج3، ص18

ما بين الأميرة (الثريا) والخادمت (لعصوات) طامعا في نيل حب احدهن ، ولكن دون جدوى ، وبقي بعدها علي بن شوي ما بين ذهاب وإياب أزلي.

ولم يبق من هذه الأسطورة سوى مثل شعبي يردده سكان الوادي الأبيض و هو: "هَضْرَاسْ أُمِّ عَلِيِّ بْنِ شُوِيٍّ أَوْذُ يَطِيفُ لَأَ لَعْصَاوَاتُ لَأَ طَرِيًّا." بمعنى "حدث له مثل علي بن شوي لم ينل لا لعصوات لا ثريا."

ونجد الأسطورة نفسها في الجنوب الجزائري ، وتحديدًا عند "التوارق" مع اختلاف بسيط في تسمية "علي بن شوي" حيث يسمونه "كُوكَايْدُ" بمعنى علي المسكين.<sup>1</sup> إضافة إلى هذه الأسطورة ، ثمة حكايات أخرى ذات خصائص أسطورية مثل بورك\* و "سلام أرومي" هذه الأخيرة التي يرونها عرش لغواسير عن أصلهم الأول وكلا النصين يتشابهان إلى حد ما ، وكذلك نجد أسطورة "آنزار" \*\* إله المطر .

وبعد كل هذا الزخم من بقايا الديانات القديمة ، والممارسات والطقوس التي تسفر عن فكر أسطوري متميز ، لا يعقل بتاتا أن يكون سكان الوادي الأبيض لم يعرفوا فن الأساطير ، وإنما وجودها مؤكد ، واندثارها واقع لا مفر منه.

## 5- فن الأغنية الشعبية:

اختلف الباحثون في مجال الأغنية الشعبية على أهم القضايا المتعلقة بهذا الشكل ، كالمفهوم والنشأة والخصائص ، نظرا لاختلاف منطلقات الباحثين وخصوصية البحث وحدائته ، فراح كل فريق يدلو بدلوه عسى أن يصيب من الحقيقة أمرا ،

<sup>1</sup> لمزيد من الإطلاع راجع : G.TELLION- Il etaits une fois l'ethnographie- p142

\* تم عرضها سابقا

\*\* سنتحدث عنها لاحقا

فأثرت هذه الجهود عدة تعاريف للأغنية الشعبية وعدة تفسيرات حول نشأتها ،  
وخصائصها ، ومن الملاحظ أن الباحثين لم يتعرضوا في هذا الشكل لإشكالية  
المصطلح . كما تعرضوا له في باقي الأشكال الأدبية الشعبية الأخرى ، لاتفاقهم على  
مصطلح الأغنية الشعبية .

وبهذا الصدد سنعرض بعضا من هذه التعاريف عند أهم روادها ، وسنشير  
إلى أهم الآراء الموجودة في الساحة الأدبية التي تتحدث عن النشأة ، بمعنى هل  
الأغنية الشعبية إنتاج جماعي أم فردي ؟ ومن ثم واقع الأغنية الشعبية بالوادي  
الأبيض.

أطلق الإبشيهي مصطلح الصناعة بدل الغناء فقال: " هي مرد السمع ومرتع  
النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد ، وزاد الراكب لعظم  
موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس." <sup>1</sup>  
والغناء من الصوت ، ما طُرِبَ به ، قال حميد بن ثور:

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْعَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا <sup>2</sup>

أما الشعبي فهي صفة من كلمة " شعب" وتعني في اللغة ما تقسمت فيه القبائل  
وجمعها شعوب ، وبالتالي فهي تأخذ الأمة ككل ، فحتى لو عبّر هنا المصطلح عن روح  
الأمة ، فهو دائما مقرون بكل ما هو حقير ودنيء - بالمفهوم الشعبي - رغم أن  
المصطلح عريق في القاموس العربي ، فالشعبي تعني مجموع الناس في الأمة على  
اختلاف طوائفهم ودرجاتهم وانتماءاتهم ، والأصل فيها مأخوذ عن التقسيم

<sup>1</sup> أنظر: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الإبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف - دار الكتب العلمية  
بيروت ، لبنان، (د.تا). ص 419.

<sup>2</sup> ابن منظور . لسان العرب . ج11 (غ ، ف ) ، ص 95.

الاجتماعي للعرب الأقدمين<sup>1</sup> ، حيث ذكر ابن الكلبي أن الشعب أكبر من القبيلة ثم تليها العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ، وإنما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها و تناظرها ، وقيل للشعب شعب لأنه انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ، وقيل لها عمائر من الاعتمار والاجتماع ، وقيل لها بطون لأنها دون القبائل ، وقيل لها أفخاذ لأنها دون البطون ، ثم العشيرة وهي رهط الرجل ثم الفصيلة ، وهي أهل بيت الرجل خاصة.<sup>2</sup> وهذا يعني أن مجموعة القبائل هي الشعب .

ومن المهم أن نشير إلى أن مصطلح الأغنية الشعبية ، مصطلح لم تعرفه الساحة الأدبية العربية إلا حديثا ، بعد أن ترجم عن المصطلح الألماني Volkleid الذي قدمه الباحث الألماني هررد Herder ، فلقي قبولا حسنا عند معظم الباحثين وأصبح مصطلحا متداولاً عالمياً.

ونذكر من الباحثين الذين لهم باع طويل في دراسة الأغنية الشعبية:

بوليكا فسكي ، كراب، جورج هوتسورج ، قايس ، سيسيل شارب، ومن العرب المعاصرين نذكر أحمد علي مرسى ، وكلهم سعوا لتحديد مفهوم دقيق للأغنية الشعبية ، إلا أن اختلاف الرؤى ، أدى إلى اختلاف تعريفاتهم، ولاستحالة عرضها جميعا في هذا المقام، ارتأينا أن نختار أهمها :

فالأغنية الشعبية كما عرفها علم الفولكلور قصيدة غنائية مجهولة المنشأ ألفها فرد أو أديب أو رجل من العامة ، ظهرت بين أناس أميين في الأزمان الماضية ولبثت تجري في الاستعمال لفترة ملحوظة من الزمن هي فترة قرون متوالية في

<sup>1</sup> أنظر: محمود ذهني . الأدب الشعبي العربي . ص70

<sup>2</sup> أنظر: ابن عبد ربه . العقد الفريد . ج3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ص335

العادة، ووجدت هوى في نفس الجماعة ، فوافقت مزاجها ورددتها ، ومن ثم توارثتها الأجيال.<sup>1</sup>

أما بوليكا فسكي فيعرفها بأنها "الأغنية التي أنشأها الشعب ، وليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي"<sup>2</sup> وقد ارتكز في تعريفه هذا على جماعية التأليف ، وملكية الشعب لهذا الإنتاج ، وبذلك ينفي عن هذا الفن جملة الأغاني المعروفة القائل ، والتي يرددها الشعب ، وكأنه يلمح إلى عنصر العراقة دون أن يولي اهتماما لمضمونها أو شكلها ، فالمهم عنده أن يشترك الشعب في تأليفها.

ويخالفه في الرأي - قاييس - الذي يرى أن الأغنية الشعبية ليست بالضرورة الأغنية التي خلقها الشعب ، لكنها الأغنية التي يغنيها الشعب ، والتي تؤدي وظائف يحتاجها المجتمع الشعبي<sup>3</sup> بمعنى أنه ليس مهما أن يخلق الشعب الأغنية ، وإنما أن يكون هو مرددها بشرط أن تؤدي وظيفة تعكس اهتمامات المجتمع.

ونحن بهذا الصدد نقول إن الأغنية الشعبية تاريخ شعب خالد بكل كبواته وانتصاراته وأفراحه ، وقصص عشاقه ، أبدعها عباقرة الكلمة واللحن ، هي صرخة اخترقت الأذان ، ورصدت الأفراح والأحزان وعاشت مدى الزمان ، يشعر مغنيها ومرددها بالحرية المطلقة التي تسمح له أن يبوح بأسراره وأسرار شعبه ، دون خوف أو تردد ، ليرسم الفرحة على وجوه المضطهدين والمحرومين ، بالكلمة واللحن والصوت الشجي.

<sup>1</sup> أنظر: فؤاد ابراهيم عباس- المنهج الفولكلوري في أناشيد الثورة الفلسطينية - مجلة التراث الشعبي - خريف 1986م، ص 79

<sup>2</sup> أحمد على مرسى - الأدب الشعبي وفنونه - مكتبة الشباب ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وزارة الثقافة الجماهيرية ، (د.تا) ، ص 107

<sup>3</sup> أنظر: المرجع نفسه ، ص 108

ومن القضايا الهامة التي أثارها المهتمون بفن الأغاني الشعبية قضية تأليف الأغنية الشعبية ، هل هي تأليف جماعي أو فردي، ومن هذا المنطلق نتج رأيان متعارضان:

أ- **الرأي الأول:** يرى أصحابه أنّ الأغنية الشعبية إبداع جماعة من الناس، تربطهم وشائج اتنية كالعائلة أو القبيلة أو الإقليم... يبتون مشاعرهم في ارتجالات غريزية أقل أو أكثر كمالا وإتقاناً ثم تأخذ شكلاً دائماً بفضل التوازن القائم بين الشعر والموسيقى في الأغنية ، وهذا ما يؤكد بوليكانسكي حيث يقول: "أن الأغنية الشعبية هي التي أنشأها الشعب"<sup>1</sup>

وأرى أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتخيل إبداعاً جماعياً لأي شكل من الأشكال الأدبية ، لأسباب عدة: أولها أن الإبداع متعلق باستعداد فطري، ولا يتأتى لكل الناس وإنما لفئة دون أخرى.

ثانياً: أن الأغنية الشعبية شكل أدبي من التراث اللامادي، متعلق بالمبدع في حد ذاته باعتبار أن عملية الإبداع تحتاج إلى قدرة لإنتاج أغنية ما.

ثالثاً: رغم العلاقة التي قد تربط جماعة ما من الناس إلا أنها لا تتجاوزها إلى اتفاق فكري وإبداعي ، وإنما دور الشعب يأتي بعد عملية الإبداع ، أين يدخل عليها جملة من التعديلات.

ب- **الرأي الثاني:** بينما يرى أصحاب هذا الرأي ، وعلى رأسهم "آرنست فيشر" أن الأغنية الشعبية كانت دائماً من وضع فرد أكثر موهبة من الآخرين ، فهو الذي يبدعها ويعطيها شكلاً كاملاً من حيث الشعر والموسيقى ويذكر فيشر أنّ رسوم

<sup>1</sup> أنظر: مصطفى عائشة - في الأغنية الشعبية الجبلية - مجلة التراث الشعبي - ع10، 1977 م، ص 128

الكهوف وملاح الماضي البعيد بل الأغاني الشعبية هي من الأساليب الموروثة وهي من إنتاج أفراد على درجات متفاوتة من الموهبة والمقدرة الفنية<sup>1</sup>.

ونشاطر أصحاب هذا الرأي ، كون إبداع الأغنية الشعبية إبداعا فرديا بالدرجة الأولى وهي المرحلة التي يمكن أن نسميها مرحلة الإبداع الأولى أو مرحلة التأليف، لا يكتمل شكل الأغنية الشعبية إلا بعد أن يقوم الشعب بتمحيصها ومراقبتها، والذي يضيف عليها لمساته الأخيرة ، ويزكيها بقبوله واحتضانه لها ، ويتجلى هذا القبول في تداولها، وهذا ما يؤكد هانز هوزر ويشاطره في ذلك شارل لالو، حينما قال : إن "الأغنية الشعبية هي التي قام الشعب بتعديلها وفق رغبته، بعدما أصبح يمتلكها امتلاكاً تاماً"<sup>2</sup>

استنادا إلى هذين الرأيين المتعارضين ، حاول الباحث مصطفى عائشة أن يجد حلا وسطا، فرد إبداع الأغنية الشعبية إلى فرد موهوب في حالة ما عالجت مواضيع ذاتية رومانسية ، أما في حالة ما تناولت أغاني الحقول التي تغنى في مواسم قطف الثمار والحصاد و في قوارب الصيد وفي عنابر المعامل... فهي من وضع الجماعة، وتعرض الأغنية الشعبية إلى التحوير والتعديل في كلتا الحالتين، على مر العصور، فإما أن تزداد ثراء أو انحطاطا<sup>3</sup>.

من الإجحاف أن نحصر الإبداعات الفردية في مجالات محدودة ، كالمواضيع الرومانسية وننفي عن نفس المبدع ، قدرته على الإبداع في مواضيع

<sup>1</sup> أنظر: المرجع السابق ، الصفحة نفسها

<sup>2</sup> أنظر: المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

<sup>3</sup> أنظر: المرجع نفسه، ص 128



أخرى (أغاني الحقول ، الحصاد...) وكأننا نقيس طاقاته الإبداعية ونحددها تحديداً دقيقاً.

أما عن النوع الثاني من الأغاني -أغاني العمل- فنقول أن العمل يحتاج فعلاً إلى توحيد الجهود من أجل إنجازه ، وغالباً ما تتفق الجماعة على ذلك لأنها مصلحة عامة ، ولكن ليس من المعقول أن يتفقوا فكرياً، فتبدع الجماعة أغنية . فاتفق الناس أو الجماعة على مصلحة مادية سهل جداً ، مقارنة بصعوبة اتفاهم أو استحالتة على أمر معنوي ، خاصة إذا تعلق الأمر بإبداع أغنية وعليه نرى أن إبداع الأغنية الشعبية كشكل فني أولاً ، وكنص ولحن ثانياً هو من وضع فرد موهوب له طاقاته الذاتية ، وقد نجد نفس المبدع بنفس الطاقات في مناطق عدة من العالم، استناداً إلى "الفكرة الأساسية" التي أشار إليها سييستيان، ومفادها ظهور نفس الأفكار، في مناطق مختلفة من العالم ، لتشابه الاستعدادات الفطرية التي يملكها كل إنسان ، كما يمكن أن نطلق على هذه الظاهرة اسم "النظائر الثقافية" ومعناها وجود ظواهر ثقافية متشابهة في مختلف أجزاء العالم ، وهي لا ترجع كلها إلى النمو المتوازي Parallel Develpements وإنما ترجع كذلك إلى بعض العمليات الثقافية الأخرى كالتقارب والانتشار.<sup>1</sup>

فالغناء " إلهام سجت به الطيور قبل الإنسان، وقلد هذا الأخير غناء الطيور وركب على تناغمها كلامه الموزون والمقفى ، وقد عرف الإنسان الغناء أصواتاً

<sup>1</sup> أنظر: محمد الجوهري . علم الفلوكلور (الأسس النظرية والمنهجية) - ط4، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1981م،

منغمة قبل أن يهتدي إلى الكلام، فعبر بالأصوات البسيطة عما يجيش في صدره من دوافع اللذة والألم وميول الرغبة.<sup>1</sup>

إن فالغناء عرفته الطبيعة قبل الإنسان ، ولما أعجب به هذا الأخير، راح يحاكي غناء الطيور، ليخلق لنفسه نغما خاصا، ينفس به عن مكبوتاته ، والمهم من كل هذا أن العالم بأسره عرف الأغاني الشعبية قبل اختراع الكتابة بزمن بعيد<sup>2</sup> وأن إبداعها يرجع للفرد وليس للجماعة، فهي تصلنا "بعد أن تجتاز طريقا طويلا يعطيها صفة الخلود التي قد لا تتوفر لغيرها من أنواع الموسيقى، وهذا الإنتاج القديم رغم البساطة التي يقوم عليها ، يشابه إلى حد ما إنتاج عصور ازدهار الفنون في قيامه على شيء من مبادئ الصياغة والتوازن، الشيء الذي كان يتبع بطريقة غير إرادية، ولم تخل الألحان نسبيا من عمق الإحساس، كما لم تخل فكرة الموضوع الذي يتغنى به من الأهمية من وجهة النظر العامة".<sup>3</sup>

أما عن واقعها في الوادي الأبيض ، فهي من أهم الأشكال الأدبية التي تلقى إقبالا واسعا من السكان -رجالا ونساء- حيث يحفظون نصوصها وألحانها ، ويرددونها في مناسبات أو دونها ، وقد يعود سبب هذا الشغف بفن الأغاني بالوادي الأبيض إلى: - أن الطبيعة الخلابة التي يحيا فيها سكان الوادي الأبيض، تنمي وتساعد على تذوق الفنون الموسيقية.

<sup>1</sup> نمر سرحان - أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن . ط1، منشورات دائرة الثقافة والفنون ، وزارة الثقافة و الإعلام ، عمان ، 1968م ، ص 205

<sup>2</sup> أنظر: أحمد علي مرسي- الأدب الشعبي وفنونه ..... ص 14

<sup>3</sup> نادبة الدمرداش - علا توفيق - مدخل إلى علم الفولكلور . دراسة في الرقص الشعبي ، ط1، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، 2003م ، ص 25

- أنّ نصوصها هادفة إلى معالجة قضية من قضايا الشعب ، خاصة وأن كلماتها نقية ليس فيها ما يسيء أو يمنع ترديدها جماعة رجالا ونساء.

ويذكر أن المرأة الشاوية - قديما - تغني بمناسبة أو دونها وتبدع النص و اللحن معا ، وهي منهمكة في إنجاز الأعمال اليومية ، فهي تسلي وتحفز نفسها بالغناء، حتى تكمل إنجاز أعمالها اليومية ، وبين الحين والآخر تبدع أغاني، فما إن تحضرها الكلمات حتى تسرع إلى باب أو أية وسيلة أخرى لتضبط إيقاع أغنية جديدة ، والتي تنقلها عنها النسوة ، فيرددنها وتزداد انتشارا وتداولا إذا لقيت قبولا بين الناس، خاصة النساء ، وقد يعدل أحد المستمعين في لحن الأغنية أو كلماتها ، ولكن ما إن تأخذ الشكل المقبول وكلمة ولحنا، تغزو القلوب والعقول ، فتذاع بسرعة بين الناس.

ومازالت المرأة رائدة الأغنية الشعبية بالوادي الأبيض ، تحفظها وتردها من غير مناسبة ، فتراها تترنم وهي تمخض شكوتها، وهي تشعل النار لتطهو خبزها ، وهي ترعى غنمها وهي تنسج أغطيتها ، لا تفارق الكلمات شفيتها أبدا، فالمرأة ترى في الأغنية واقعها ، أفراحها وأحزانها ، ماضيها وحاضرها، ولولاها لما ظلت الأغنية الشعبية بنصها ولحنها موجودة بالوادي الأبيض، في وقت كثرت فيه هجرات الناس المتزايدة من الأرياف إلى المدن ، وانتشرت الإذاعة والتلفزيون. فكل هذه العوامل مازالت تهدد هذا الإرث الغنائي بالانقراض ، خاصة بعد تسلل

بعض الأغاني الجديدة أو الدخيلة والتي تسعى للقضاء على أصالة وبساطة الأغنية الشعبية.<sup>1</sup>

رافقت الأغنية الشعبية مختلف أطوار حياة سكان الوادي الأبيض ، وأدت دورا بارزا أثناء التواجد الفرنسي بالجزائر، حيث عوضت الوسائل الإعلامية كالرسائل مثلا، فتواصل بها المجاهدون ، وخففوا بها آلامهم وتعرفوا عن طريقها على أحوال الشعب وتوجهاته ، فهي بمثابة الجرائد اليومية التي تأتيك بالأخبار من كل حذب وصوب ، ولم يستغن سكان الوادي الأبيض عن هذا الشكل في كل نشاطاتهم، فكانوا يغنون في الحصاد والدرس ، والتي كانت تأخذ طابع الدعاء والتبرك بسنة فلاحية جديدة.

وللتذكير فإن سكان الوادي الأبيض يفتتحون مختلف المناسبات الاجتماعية أو الدينية بالغناء الديني أولا ، كأغاني التوحيد والبسمة والصلاة على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبعدها يرددون ما يحفظون من أغاني خاصة الثورية منها التي تعد النوع المفضل عند سكان الوادي الأبيض رغم قدمها إلا أنها أكثر تداولاً، باعتبار أن المنطقة كانت قلعة من قلاع الثورة التحريرية .

وفي مناسبات إستدرار المطر أو زيارة الأولياء ، يستعين سكان الوادي الأبيض بالغناء لإحياء المناسبة ، فينشدون أغاني شعبية ذات مضامين دينية وتكون طريقة الأداء جماعية سواء عند الرجال أو النساء .

<sup>1</sup> أنظر: إبراهيم زكي خورشيد - الأغنية الشعبية والمسرح الغنائي . الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2000م ،

ولم تعرف منطقة الوادي الأبيض الغناء الفردي إلا بظهور أول فنان خاض تجربة فنية فردية وهو المغني "عيسى الجرْموني" الذي كسر كل الطابوهات التي تقف حائلا أمام كل راغب في الغناء ، وينظر سكان الوادي الأبيض إلى هذا النوع من الغناء بأنه مغل بتقاليد وأعراف المنطقة وأنه تقليل من شأن الفرد وعبءا في حق الجماعة ، ومع الوقت تضاءلت هذه الفكرة ، ولكن الأداء ظل جماعيا ومازال التحرز قائما حيال الغناء الفردي .

هذا ما يمكن قوله في واقع الأغنية الشعبية بالوادي الأبيض ، والتي تعد نتاجا متنوع المرجعيات ، متشعبا بأصالة شعب ، حافظ على تراثه على مر العصور ، لأن الأصالة تقتضي أن يكون التطور على أساس من القديم و أن يكون التجديد نابعا من بيئتنا ، معبرا عن نفوسنا ، لأن الثقافة لها وطن و العلم لا وطن له .